

نقولا يوسف

عبد اللطيف النشار الشاعر الكاتب

بقلم نقولا يوسف

***

واخيرا كف قلم النشار عن الكتابة والنشر . وقد ظل زهاء ستين عاما يجول ويصول في ساحات الصحف والمجلات .. وتعطل اللسان المجلي في المنتديات والمقاهي والمجتمعات ، بعد ان ملا الاوراق والاسماع بأبيات الشعر والمقالات ، والنقدات والمترجمات ، والاحاديث والذكريات ، منذ ان توقف القلب الشيخ الفتي ، وصاحبه في طريقه الى صومعته المقفرة بضواحي القاهرة ـ مساء ٢٦ من فبراير (شباط) ١٩٧٢ .. ولم تزل يده ممسكة بالحقيبة العامرة بالصحائف المعدة للمطبعة ..

رحل شاعرنا الظريف شيخا في السابعة والسبعين ـ ولم يترك وراءه من حطام الدنيا ما يساوي فلسا ، وان كان قد خلف للمتأدبين ثروة من الآراء والتجاريب والتوجيهات والترانيم ـ منثورة ومنظومة ـ لم يعن هو ولا غيره بحصرها وجمعها ، فبقيت بعده مطوية في صدور الصحف ترقب البعث والنشور ..

ولد الشاعر الكاتب عبد اللطيف النشار بدمياط عام ١٨٩٥ (كما ذكر لنا ، وقبيل ذلك كما يظن البعض) من ابوين سكن اسلافهما هذه المدينة منذ بضعة اجيال وعلى شواطئها قضى طفولته . فلما انتقل منها في صباه مع والديه الى الاسكندرية ليستوطنها معظم العمر ، حمل معه انطباعات البيئة الاولى وخواصها ، والموروثات الاسرية وتقاليدها . وكان بعض افراد هذه الاسرة من شيوخ الدين ، والبعض من الادباء والشعراء ، كما كان منهم التجار والموظفون من الطبقة الوسطى المثقفة ..

وورث عبد اللطيف ملكة الشعر عن أبيه وجده فكان والده « حمدي النشار » ـ (١٨٧٣ ـ ١٩٢٢) شاعرا له ديوان مطبوع سماه : « ثمرات الافكار » ، وله المقالات الادبية والاجتماعية في صحف عصره .. كما كان جده « الشيخ محمد علي النشار » ، المدرس بالمعاهد الدينية ينظم الشعر ويحفظه .. وقد تأثر عبد اللطيف والده في ريادته للنظم السلس الجزل ، والنثر الواضح الفكرة والاسلوب .. وكذلك ورث قوة الايمان والزهد في الدنيويات عن اجداده شيوخ الدين وعلمائه . وان لم يشتغل بالعلوم والابحاث الدينية ، وظل طيلة حياته الشاعر الفنان الذي امتزجت الشاعرية والروحانية ، وتصارعت العاطفة والعقل في نفسه ..

ارتحل شاعرنا الى مقره الجديد حينما نقل والده الى وظيفة كتابية بمحكمة الاسكندرية . وهناك تلقى تعليمه الابتدائي ، ثم توظف كاتبه بمحكمة الاسكندرية الاهلية ، واعتمد في معيشته المادية على مرتبه الشهري من هذه الوظيفة حتى سن التقاعد ، وعلى القليل من اجر كتاباته ومترجماته في الصحف .. وتزوج عام ١٩٢٢ وانجب كريمته التي عني بتعليمها حتى تخرجت في كلية الآداب ثم تزوجت وتنقلت بين القارات .. وسبقته قرينته في شيخوخته الى دار البقاء فعاش سنيه الاخيرة وحيدا ..

وفي الاسكندرية وجد النشار مجالا فسيحا للتثقف الذاتي ، واقبل على مطالعة الكتب والصحف والمجلات المتوفرة حوله ، وشغف بشتى فروع المعرفة . ودرس اللغة الانجليزية وقرأ فيها الكثير من الادب الانجليزي والآداب العالمية ، وترجم من روائعها الى العربية عددا وافرا من الروايات والاقاصيص والقصائد ..

ثم صاحب الكثيرين من ادباء هذه المدينة وتردد على مجالسهم ، وشق طريقه الى دور الصحافة حيث لقي قلمه كل ترحيب .. وكانت اولى تلك الجماعات السكندرية التي خالطها النشار في فجر شبابه وتركت أثرا في ادبه ، الجماعة التي اطلق عليها : « شعراء الشلال » اذ كانت تعقد ندواتها ، ايام الحرب العالمية الاولى في « حدائق الشلالات » المعروفة في الاسكندرية بهذا الاسم الى اليوم . فهناك قنوات تنحدر مياهها من مرتفعات صغيرة على شكل شلالات .. وكان لاحد هؤلاء الشعراء « عثمان حلمي » الشاب الموظف بالبلدية كوخ في طرف الحديقة للاشراف عليها ، فاتخذت جماعتنا هذا الكوخ منتدى ادبيا تجتمع فيه ، وتنتقل منه في بعض الامسيات الى مقاهي « الميناء الشرقي » .. وكثيرا ما تلتف حول الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري ، فمن افرادها من تلمذ عليه بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية ، منذ ان عاد من بعثته بانجلترة عام ١٩١٢ وعين مدرسا بها ، وجميعهم من المعجبين بشعره المنشور في الصحف والدواوين ، وبآرائه في الشعر والشعراء ، وهم يعرضون عليه منظوماتهم ، ويستمعون الى نقداته وتوجيهاته ، وهم بعد ذلك ينظمون فيه المدائح فيبادلهم التحية بأحسن منها ..

كان « شعراء الشلال » هؤلاء ـ وجميعهم من الشباب المتقارب السن هم: عثمان حلمي (١٨٩٤ـ١٩٦٢) وعبد اللطيف النشار (١٨٩٥ـ ١٩٧٢) وحسن فهمي (١٨٩٥ ـ ١٩٣٠) وزكريا جزارين (١٨٩٧ ـ ١٩٥٥) وعبد الحميد السنوسي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) ومحمد مفيد الشوباشي (١٨٩٩) وعبد الحكيم الجهني (١٩٠٠) وقد رحلوا جميعا الى دار البقاء ما خلا الصديقين الاخيرين ، وخلف كل منهم ديوانا شعريا مطبوعا او مخطوطا ..

بينما كان هناك عدد آخر من ادباء الاسكندرية ـ شعراء وكتاب ـ عاشرهم النشار طوال حياتهم وسعد بصداقتهم وادبهم ومنهم المرحومون: خليل شيبوب ، وشقيقه صديق شيبوب ، وعبد الحميد سالم ، وبيرم التونسي ، ومحمد فضل اسماعيل ... غير من عرفهم من شيوخ الادب وشبابه خارج الثغر ..

وقد جمع بين « شعراء الشلال » تعلقهم بالادب العربي والآداب العالمية قديمها وحديثها ، وتطلعهم الى الحرية والجمال والتجديد ، وشعور الفرد بذاتيته بعد ان قويت فيهم النزعة الشخصية التي سرت

مع نمو الطبقة المتوسطة المثقفة ، المعتزة بنفسها .. ثم المامهم باللغة الانجليزية التي وجدوا فيها ضالتهم من الوان الادب العالمي المترجم اليها ، ومن الادب الانجليزي ـ شعره وقصصه ومسرحياته ـ متنقلين بين الرومانسية والواقعية تنقلهم بين القديم والجديد ..

وهكذا اتجه النشار وزملاؤه الى التجديد والابتكار في الشعر واغراضه ، والى نظم الشعر المعبر عن خلجات النفس والتجارب الذاتية ، وقل اهتمامهم بشعر المناسبات والمحافل والموضوعات التقليدية المطروقة .. وبدأوا ينشرون قصائدهم في الصحف والمجلات مما ضمه فيما بعد عدد من دواوينهم ..

وفي اوائل العشرينيات انضم عبد اللطيف النشار الى اسرة « وادي النيل » الجريدة اليومية المسائية المعروفة محررا بها خارج وظيفته بالمحكمة .. وكان يصدرها بالاسكندرية الصحفي محمد الكلزة فيما بين مايو ١٩٠٨ ونهاية ١٩٣٦ معاصرة امتداد حركة مصطفى كامل الوطنية ، فاحداث الحرب العالمية الاولى ومعاهدات السلام ، فثورة ١٩١٩ المصرية وما اعقبها من تقلبات سياسية بمصر والشرق .. ومسايرة ايضا الحركة الادبية العربية خلال ربع قرن ونيف من حياة الجريدة .. وقد أيدت اول عهدها مبادىء مصطفى كامل والحزب الوطني ، ثم ناصرت « الوفد » وسعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ وتعرضت غير مرة للانذار والتعطيل بسبب حملاتها ونقداتها السياسية . وعطلت مرة احد عشر شهرا حينما تولى رئاسة تحريرها الكاتبان محمد توفيق دياب ومحمود عزمي وهاجما وزارة محمد محمود.. وافسحت الجريدة صدرها لاقلام الادباء الهواة مع المحترفين فنشروا بها المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، والشعر والقصة والنقد ، مما لم يزل مدخرا في مجلداتها للنقاد والمؤرخين ..

ونرى النشار وسط تلك التيارات السياسية والاجتماعية والادبية ، مؤيدا دائما الثورات التحررية والنهضات الاجتماعية ، داعيا الى الاصلاح والتجديد والتقدم ، مناصرا الحق والعدالة ، وتحرير الوطن والفكر ..

وفي دار « وادي النيل » زامل النشار من كتابها في فترات مختلفة : محمد الهيهاوي ، وعبد الحميد السنوسي ، ومفيد الشوباشي ، وعبد الحكيم الجهني ، وعبد الحميد سالم ، واحمد حسين ، وفتحي رضوان ، ويحيى حقي ، واحمد عبد الغفار ، وتوفيق دياب ، ومحمود عزمي ..

وفي الاسكندرية كان يعاصر « وادي النيل » عدد وافر من الصحف والمجلات العربية من كل حجم وصنف وعلى صفحاتها تتمرس الاقلام بالكتابة ، وفي حجراتها تدور المناقشات والمساجلات ، وفي مقدمة تلك الصحف : جريدة « الاهالي » اليومية التي اصدرها عبد القادر حمزة فيما بين ١٩١٠ و ١٩٢١ ثم نقلها الى القاهرة ، وكان من محرريها في بعض الفترات : عباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، وابراهيم المازني ، وبيرم التونسي ، وعبد الحكيم الجهني ، ومحمد ابو العز ... ثم جريدة « البصير » اليومية (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤) لاصحابها آل شميل ، وكتبت بها عشرات الاقلام .. غير ان النشار وقف عمله الصحفي على « وادي النيل » حتى احتجبت (في آخر يوم من عام ١٩٣٦) وان لم يقصر شعره على صحيفة او مجلة واحدة بالاسكندرية وخارجها .. وكان صديقا للجميع قلما يناوش بدعاباته المنظومة غير من يهاجمه وكثيرا ما كان يحلو لزملائه مداعبته او مفاضبته ..

وبدأ النشار علاقته بوادي النيل اولا على اساس ان يترجم لها عن الانجليزية بعض الروايات المشهورة تنشر مسلسلة في الجريدة وعلى ان يمدها من حين لآخر ببعض البحوث الادبية ، كان منها ما كتبه اسبوعيا تحت عنوان : « حديث الثلاثاء » تناول فيه الوانا من النقد الادبي والتحليلي للادب العربي قديمه وحديثه . وكان في نقده للشعر العربي القديم رائدا . من ذلك على سبيل المثال قوله ان في دراسة الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى ما يكشف عن العلاقات الاجتماعية بجزيرة العرب في ذلك الزمن ، وانه في شعره عن حرب السباق ، ومساعي البعض في سبيل الصلح فيها ، وعن الحرب والهدنة ، وما يحظر وما يباح في احوال الحرب ، ومنها حريات النساء ، ما يشير الى آداب في المجتمع الجاهلي خلال الحرب ، وما يشبه قوانين الحرب والسلم الدولية ..

والواقع اذا جمعت هذه الفصول لكونت مؤلفا نقديا قيما . كما يمكن جمع مقالاته الاخرى المتفرقة في مجلدات « وادي النيل » وغيرها من الصحف والمجلات ، لتكون كتبا ادبية شتى ..

وكان مما ترجمه النشار من الروايات المسلسلة بصحيفة « وادي النيل » ، « كوخ العم توم » للكاتبة ستاو ، وعدد من قصص تولستوي وديستوفسكي ثم ريدار هجارد وهول كين ... وغيرهم ..

وفي تلك الفترة التي بدأ فيها النشار حياته الصحفية ، بدأت معها ايضا تلك السلسلة الطويلة من الطرائف التي اتصلت بحياته كلها ، وكان يتندر بها اصحابه ومنها انه كان يوقع على ما يلخصه او يعلق عليه للجريدة من اقوال الصحف الانجليزية بعبارة : « لمراسلنا في لندن » في حين كان زميله المرحوم عبد الحميد سالم يوقع على ترجماته عن الصحف الفرنسية : « لمراسلنا في باريس » !..

ثم كان النشار يتخذ من قهوة صغيرة بأحد دروب الاسكندرية منتدى يساهر فيه اخصاءه وندماءه . واطلق على هذا المقهى « كوخ العم توم » وهو عنوان الرواية المشهورة التي وضعتها في القرن التاسع عشر الكاتبة « ستاو » عن قضية الزنوج والرق بامريكا ، وترجمها النشار الى العربية كما سلف . وذاع هذا الاسم بين ادباء الثغر ، كما شاع ما يصدر هناك عن النشار من مرتجلات منظومة ، ودعابات ساخرة ، ومساجلات مع الشعراء كان يرفه بها عن نفسه وعن جلسائه ـ وقل ما نشر منها ـ مستخفا بما يصيبه من الناس من صدمات ..

ثم كان التندر بـ « حقيبة النشار » العتيقة التي كان يحملها بيده الى كل مكان ، محتوية على اصناف الصحف والمجلات والكتب العربية والانجليزية ، ورزم الورق ، واقلام الحبر وزجاجاته وادوات اصلاحها .. فاطلق رفاقه على حقيبته ، وعلى مكتبه بالجريدة وهو يماثلها في الفوضى : « شادر النشار » !..

وفناننا بعد هذا لا يعنى بملبسه ولا بمأكله ، ولا بفلوسه ولا بنظام معيشته بعامة ، منصرفا بكليته الى مطالعاته وكتاباته وتاملاته .. ومن امثلة التحدي انه في فجر شبابه مرض بحمى هددت حياته ، فكان صديقه الشاعر عثمان حلمي يعوده كل يوم ومعه طاقة من الورد . قال النشار بعد شفائه انه لم ينج من هذا المرض الا بفضل هذا الود وذاك الورد فقد بثا فيه الامل وحب الحياة .. غير ان طبيبه حذره من انه خرج مهددا في قلبه ، وانه سوف يموت بالسكتة القلبية في اية ساعة !. وتمرد النشار على الحياة ، وظل يمارس اخشن الوان العيش، حتى اشرف على الثمانين من عمره ، وبينما كان عائدا الى بيته في تلك الليلة (٢٦ فبراير ١٩٧٢) سقط في الطريق متوفيا بالسكتة القلبية ، ولم يعرفه احد غير كواء تصادف مسيره هناك وقتئذ ، فابلغ الامر الى صديق له ..

وعندما نقل النشار قلمه الى جريدة « السفير » (التي انشأها بالاسكندرية المرحوم عبد الرحمن شرف عام ١٩٢٤ ولم تزل تصدر بعده الى الساعة) ، لم ينقطع عن مكاتبتها ومراسلتها الى آخر ايام حياته .. وفيها نشر بضع مئات من المقالات والنقدات والنبذ والذكريات وابيات الشعر ، وسلسلة من الاحاديث بعنوان : « سكندريات » تدور حول مسائل وتعليقات ثقافية واجتماعية وعمرانية من وحي الاسكندرية .. ثم ملاحظاته السياحية وبخاصة عن رحلته الاخيرة الى انجلترة واقامته بلندن اكثر من ستة اشهر .. وبعض هذه الكتابات بلا توقيع ، واكثرها باسمه كاملا .. وكلها في اسلوب سلس واضح صريح ، تتخلل عباراته آراء سديدة ، وسخرية احيانا ..

ولما انتقل الى القاهرة عقب « الاحالة الى المعاش » ، واتخذها مقرا الى يوم وفاته اخذ يترجم عن الانجليزية عشرات الاقاصيص الهندية لمجلة « صوت الشرق » الشهرية بالقاهرة الى جانب كتابة بعض النقدات والمقطوعات الشعرية بهذه المجلة وبغيرها ..

وكان اوج نشاط النشار الادبي - فيما يبدو - خلال الثلاثينيات ففي عام ١٩٣١ صدرت له مجموعة شعرية بعنوان « جنة فرعون » . ثم اعيد طبعها مع مجموعة اخرى سماها « نار موسى » وظهرت المجموعتان في مجلد واحد عام ١٩٣٣ وقدمهما صديقاه الشاعر خليل شيبوب والكاتب صديق شيبوب .. ومنذ عام ١٩٣٢ كان النشار عضوا عاملا في الجماعة الادبية التي انشأها عامذاك بالاسكندرية عدد من ادبائها العرب من كتاب وشعراء وصحافيين ومن مختلف المهن والوظائف والطبقات ، تجمع بينهم الميول الادبية ، وسموها « جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية » ، واختاروا خليل شيبوب اول رئيس لها ، وعبد اللطيف النشار وكيلا لها .. وظلت عاملة حوالي ثلاثين سنة ، قامت خلالها بنشاط ثقافي متعدد الجوانب ، فاقامت المهرجانات والمحاضرات والندوات ، وحفلات التابين والتكريم ، وعاونت على طبع مؤلفات ودواوين اعضائها ، وانشأت مدرسة مسائية شعبية يتناوب فيها الاعضاء تدريس التاريخ ، والادبين العربي والفرنسي ، والمواد الاجتماعية والعلمية .. ودعت عددا من مشاهير الادباء من شتى الاقاليم للمحاضرة .. وكان من مهرجاناتها التذكارية على مر السنين ، ما اقيم لابن خلدون ، واحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، ثم لخليل شيبوب ، وعبد الرحمن شكري ، وعثمان حلمي ، وصديق شيبوب وغيرهم عقب وفاتهم .. ثم اقامت عام ١٩٦٢ مهرجانا تذكاريا لمرور ثلاثين عاما على تاسيسها ، وذلك بمدرج كلية الآداب بالثغر .. ونرى النشار يشارك في نشاط هذه الجماعة طوال حياته بالمحاضرة والقاء القصائد والتدريس والمناقشة في الندوات .. كما رأيناه بعد ذلك في مهرجانات الشعر الكبرى التي عقدت بالاسكندرية وفي محافل القاهرة ..

وفي الثلاثينيات ايضا نرى النشار سكرتيرا « لنادي الشباب المصري » عام ١٩٣٣ ومسهما في « ديوان الاسكندرية » الذي طبعه علي البحراوي عام ١٩٣٥ وبه مختارات من قصائد ثلاثة عشر شاعرا سكندريا بينهم النشار .. وعندما ينقل الشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي نشاطه الثقافي الى الاسكندرية بين عامي ١٩٣٥ - ١٩٤٦ (عام هجرته الى اميركا) ومعه مطبعته « التعاون » وينشىء مجلاته : « ادبي » و « الامام » و « مملكة النحل » ، ويكون « رابطة اللوتس » و « جماعة الادب المصري » ، ويحرك الجو الثقافي هناك ، ويجمع حوله الادباء الشباب ، نجد النشار يدور يوما في فلك هذه الحركة ، ويوما في افلاك اخرى ..

النشار الشاعر

ولد عبد اللطيف النشار ، وفي قرارة نفسه موهبة الشعر والفن نمت معه تغذيها عوامل الوراثة والبيئة ، ثم تجاريب الحياة واحداثها ، فالمطالعات والمبادلات الفكرية .. وانعكست هذه الملكة الشعرية على منظوماته ومنثوراته ، وعلى تصرفاته في حياته الخاصة والعامة . وقد تراه مجردا قلمه في الميادين الصحفية ، معالجا شتى الموضوعات الفكرية والاجتماعية ، والقومية والسياسية او منهمكا في ترجمة القصص والروايات الى العربية ثم لا يلبث ان يعود الى طبيعته الاولى الشعرية الفنية فهو الشاعر الفنان اولا واخيرا ..

وكانت هذه الشاعرية في البدء وجدانية عاطفية ، وكان شاعرنا يتغنى بمشاهداته وتجاريبه واحاسيسه الذاتية .. ثم ينجذب الى موروثاته الدينية فينحو الى الايمان والتفاؤل ، والقناعة بما قدر له من حظ ، فاذا تمرد على حظه راح يسخر من نفسه وممن حوله في منظومات لا يذاع اكثرها ، ويتناقلها اصحابه متفكهين .. وفي كل ما ينظم النشار من شعر وجداني او تاملي او قومي ، لا يخرج لفظا ومعنى والغموض والتكلف والصنعة ..

وفي العشرينيات كان ينشر شعره في مجلات : « الملاجيء العباسية» بالاسكندرية ، وفي الهلال ، والسياسة الاسبوعية ، والبلاغ الاسبوعي، والاهرام ، ووادي النيل .. وكثر انتاجه في الثلاثينيات وتفرق في الصحف ، ورأينا بعضه في « المجلة الجديدة » لسلامة موسى (مثل « الحياة في الريف » يوليه ١٩٣١ ، وانشودة « صياح الديك » للاطفال مايو ١٩٣٩) .. وفي مجلة « ابولو » لابي شادي ، منه شعر مترجم عن الانجليزية .. وفي « ديوان الاسكندرية » المحتوي على نخب من قصائد شعرائها ١٩٣٥ .

وفي ١٩٣١ ظهرت مجموعته « جنة فرعون » - ثم ضمت الى مجموعته : « نار موسى » وظهرا معا عام ١٩٣٣ - وقدمهما خليل شيبوب وصديق شيبوب ، وتناولهما الكتاب بالنقد ، واثنى عليهما الاستاذ العقاد بجريدة « الجهاد » .. ونشرت مجلة « ابولو » (في عدد سبتمبر ١٩٣٣) نقدا لاحد الادباء جاء به :

« عبد اللطيف النشار شاعر وابن شاعر . قرأنا له طرفا من شعره المجيد في مناسبات شتى .. وعندي ان النشار من زمرة الشعراء المفكرين الذين قلما يبالون بالاساليب . وهو ذاتي النزعة ، يميل الى القدسيات أحيانا ، بحنين من يسأم الحضارة . ذو شخصية مستقلة غالبا ومقلدة تارة . وهو على ما يلوح لي معتد بنفسه كثيرا . ونتيجة ذلك سمو تعبيره او سماحته وبساطته مرة ، واسفافه وتفككه مرات ، لقلة مبالاته .. ولكن لشاعرنا فضيلة الاستقلال الذي هو قرين الشخصية . وفي الواقع لا يمكنني ان افهم بروز شاعر لا شخصية له . فبينما تقرأ للنشار من شعره الفني قصائد : ملل ، وفجر الامل ، والكتب ، ويوم من حياتي ، وقمح يوسف ، وهاروت ، ونفوس العظماء ، وشروط الشمس بين المقابر ، والحسن المدخر.. بينما تقرأ مثل هذا الشعر الجميل للنشار - الجميل حقا ، روحا ومعنى ولفظا وان لم اقل ابتكارا - تجد هذا الديوان زاخرا بشعر كثير مفكك لا نرى تفسيرا لوجوده الا اهمال النشار وعدم مبالاته بتجديد نظمه وربما كان لمزاولة النشار اعمال الجرائد بعض التاثير في اسلوبه .. ومن شعر النشار جانب منه ولكنه محدود .. والنشار كالعقاد من الشعراء المستوعبين . ولكنّه حين ينظم يعبر عادة عن نفسه . وهذه فضيلة منشودة . وقلما يكون مقلدا . ولا اعيب شعره لا بتوارد الخواطر ولا بتداعيها ، فحسبي منه الصدق في التعبير » ..

ولم ينقطع شاعرنا عن النظم الى آخر ايام حياته ، مما يضم ديوانا كبيرا (لم يجمع بعد) - به شكول من القصائد الوجدانية ، والتاملية ، والقومية ، والثورية ، والوصفية .. ثم مقطوعات شتى في الرثاء والمدح .. والمناسبات والمداعبات والسخرية - وتمتاز جميعا - كما سلف القول - بالسلاسة والسهولة ، وبرقة اللفظ ، والبعد عن التكلف والصنعة والغموض والتعقيد ..

ومن بواكير شعره قوله :

صلاتي لربي نظم شعري فانني ... بذلك اجلو ما حبا من مواهب
بآيته في صنع نفسي وعونه ... اكشف عن آي له وعجائب
وما تكشف الاسرار الا لشاعر ... شغوف باصدار لها وعواقب
الا يا منى نفسي لاية غاية ... أطيل الى المجهول لحظ مراقب
فاما بدا لي منه ومض تبعته ... لادرك منه جانبا بعد جانب
كانني باظهار الخفي موكل ... فما تصبيني واضحات المطالب
ولو خلت الدنيا من الشعر ما بدت ... قلامة ظفر من جميل وصائب

ومن شعره التاملي قوله في « السعادة » :

وصف السعادة واصفون فاسرفوا ... وأرى الامين على الحقائق يبخل
قالوا السعادة في القناعة - حبذا ... لو لم تلح مطالب لا تغفل
ليس السعادة فعل شيء تشتهى ... ان السعادة حب شيء تفعل
صح اختيار المرء حين اختاره ... عملا عليه بالجوانح يقبل

صدقت ارادة مستقــل حــازم   يسرى فــلا يشكو ولا يتململ
ما اكثر الشاكين هــان مصابهم   لكنهم طلبوا الاسى وتعجلــوا
أولي الامــور بأن يطــول تأمــل   في كنهــه مــا يغفــل المتأمــل
كــل يفكــر مفــردا فــي نفسه   ان الشقي عليــه بــاب يقفــل
اطلق سراحك في الحياة واهلها   فالصعب في الدنيا الفسيحة يسهل
انا لا اقول (انا) وانسى امتي   في غــير دائرتي وجــود اجمــل
ليس السعادة في مجاهــل كوكب   نــاء فمنهجهــا القريب مذلــل

وظل النشار يشارك بشعره في الاحداث القومية والعالمية، منتصرا دائما للحق والحرية والعدالة .. ومنذ عــام ١٩٥١ ظهر لــه بمجلة « الرسالة » بالقاهرة عدة قصائد قومية منها ما يحمل هذه العناوين : « الشعور المكبوت ». « نسف قرية » « الفدائي » « العلمين » .. كمــا نشر له بصحيفة « اخبار دمياط » - ١٩٦٢ - بعض قصائــد تحت عنوان : « ملحمة الثورة في عشر سنوات » ، منها مطولة عــن « معركة القناة وبورسعيد » ، واخرى عن « السد العالي » ..

وفي مطلع قصيدة « العلمين » يقول :

علمــان في « العلمين » يقتتلان   يا مصر ما العلمين مــا العلمان
لا ابتغي غيظ النحاة ولــم امــل   للايــن اذ يرضى النحــاة الآن
قل مخطئا واسمع مقالة مخطــىء   لا يحسن التصويــب كــل أوان

والى جانب تلك الالوف المؤلفة من الابيات التي كان ينظمها النشار في مختلف اغراض الشعر والوانه ، وينشرها في المناسبات ، ويلقيها في المحافل والمهرجانات ، فقد كان يرتجل متــى شاء في مجالسه الخاصة الكثير من المنظومات الساخرة ، ومن امثلة هذا الفيض الوافر قوله :

الا اقصر عــن الشعر   فبشرط الشاعــر الجهل
يتابع كــل خالجــة   فليــس لرأيــه ظــل
ويسبيه الخيال فــلا   غرابــة فيــه اذ يغلو
قصارى مــا يرجيــه   مقال الناس : يــا فحل
ودع الله يــا شعري   أودع ثــم لــن اسلـو

ويرد على الشعراء الذين يهجونه مداعبين ومنهم صديقه القديم عثمان حلمي :

صحافة الجنــة قــد اجمعت   على انتدابي مخبرا في الجحيم
فقلت : لا بأس ، فلــي عندها   أهــل مودات وعهــد قديم :
« عثمان » فيهــا راكبــا رأسه   مــا زال يهجوني بشعر سقيم
وكــل مــن اعرفهم في الدنــا   مــن ساهر او سامر او نديم
صحافــة الجنة انــي هنــا   فانتظري اخبار أهــل الجحيم

وعلم ان المرحوم دكتور زكي مبارك تحدث عن الجانب الفكاهي من شعر النشار ، من اذاعة بغداد ، وذكــر ان للنشار اسلوبــا خاصا لا يجرح وان كان يؤلم ، فكان تعليقه دعابة اخــرى ضمنها مناوشة صديقه الشاعر د. زكي ابو شادي :

أيهتف باسمي مــن منابر بغداد   الذكر من أقصى المدائن في «الراد»
لعمري لقد اصبحت صوتا له صدى   وقد كنت أخشى ان اكون «ابا شادى»

وعن وظيفته في المحكمة يقول :

ثلاثــون عامــا في المحاكم أفسدت   بياني فأصبحت الغبــي المغفلا !

وعلم ان الوزير « خشبة باشا » يستدعيه لامــر لــم يعجبه فأرسل اليه :

وكل مــا قابــل النشار ينشره   فاحذر مقابلة النشار يا خشبه !

ويتحدى ناقديه متهكما :

سأصيح من فوق المآذن معلنــا   اني و« جبرة» نلعب « الكنكانا »
الناس تلعن في الصباح اباهــم   والناس تلعن فــي المساء أبانــا

الى آخر تلك الطرائف التي يصعب حصرها ، ولم ينشر اكثرها، ووضعها شاعرنا على هامش شعره الرفيع ، يبددها في الهواء مع دخان سيجارته ..

الكاتب الصحفي

وكان النشار كاتبا ناثرا كما كان شاعرا ناظما وكتاباته المنشورة غير المترجمة اوفر من منظوماته واكثر تنوعا .. فلطالما شارك بقلمه فــي احداث بلاده وهموم عصره الفكرية والاجتماعية والسياسية . ونشر في الصحف والمجلات كبيرها وصغيرها شتى الدراسات الادبية والنقدية ، والمقالات القومية والاجتماعية ، والتعليقات علــى الحوادث العالمية ، والكثير من ذكرياته ومشاهداته في رحلاته ، وآرائه في الكتاب والمؤلفات، مما يمكن جمعة وتنسيقه في مجلدات تفيد قراءها وتعين النقاد علــى تقويمها ..

وبين هذه الآثار النثرية احاديثه المسلسلة بجريدة « وادي النيل» ومنها « حديث الثلاثاء » الذي تناول فيه الوانا من النقــد الادبــي والتحليلي للادب العربي القديم والحدبث .. ومقالاته بمجلة «الرسالة» ومنها ما يحاكي فيه أبا الفرج الاصفهاني عــلى نمط عصري .. ثــم كلماته في جريدة « السفير » اليومية السكندرية ، وبعضها بعنوان : « سكندريات » والبعض عن رحلته عام ١٩٦٨ الى انجلتره واقامتــه بلندن نحو سبعة اشهر دارسا متحدثا الى أهل الادب وارباب الصحف. والطرائف تتبعه كعادته فقد انتخبه بعض صحابه الانجليز هناك رئيسا لنادي العزاب !.

وهو في كل ما يكتب ، كما لو كان يتحدث الى رفقته ، صريــح الرأي ، واضح الفكرة ، لا يتانق ولا يزخرف ، ولأ يبهم ولا يسهب ..

المترجـم

ولقد زود النشار المكتبة العربية بعــدد وافــر مــن القصص والروايات العالمية التي ترجمها من الانجليزية الى العربية ، وكــان ينشر الكثير منها مسلسلة في صحف وادي النيل ، والبلاغ والسياسة ومجلة « الرواية » .. كما ترجم الكثير من الاقاصيص منها مــا نشر بمجلة « صوت الشرق » بالقاهرة حيث نقل الى العربية عشرات مــن القصص الهندية الحديثة ..

ومما ترجم من الروايــات : « الشقيقتان » لجورج ايبــرز ، و « هيباتيا » لتشارلز كنجزلي ، و « الاسكندر » لارمسترونج - وقد نشر هذه الرواية الاخيرة بجريدة وادي النيل عام ١٩٣٠ وطبعت فــي كتاب عام ١٩٣٤ - وذكر في مقدمتها عامذاك انه في سبيل ترجمة كل مــا يدور حول تاريخ الاسكندرية منذ القديم في الكتب القصصية ، امثــال تلك الروايات الثلاث « لاعتقادي ان الاثر الذي يطبعه التاريخ القصصي الامين أوكد من اثر التاريخ وبخاصة في نفوس الشبان ، وبخاصة ايضا فيما يتعلق بالعهود القديمة والشخصيات القديمة ، ذلــك لان بعض الحقائق يفتقدها المؤرخ فلا يستطيع سد ثغرها وتكملة نقصها ، ولكن الفنان يستطيع هذه التكملة بما يمليه عليه خياله الصادق » ...

وفي « سلسلة كتب الاسكندرية » هذه ترجم النشار ايضا كتــاب « حوادث الاسكندرية في الثورة العرابية » ، بحث تاريخي في اسلوب قصصي للكاتب الانجليزي.هـ. ج. هنتي .

وترجم النشار ايضا خارج هذه السلسلة من الروايات : « كوخ العم توم » لهاريت ستاو ، وأنا كرنين لتولستوي ، ونوتردام دي باري لهوجو ، وبعض قصص دستوفسكي ، وريدار هاجارد ، وهول كين ..

وترجم مجموعتين من اقاصيص شاعر الهنــد تاجور : خالتــي وقصص اخرى ، ووكيل البريد وقصص اخرى .. كما ترجم « حاج بابا الاصفهاني » و « وحاج بابا من لندن » وكذلك مسرحيات قصيرة للطلبة منها : « خريستوف كولمب » و « دون كيشوت » و « تحتمس الثالث » .. وعددا من الروايات المقررة على الطلاب ، منها : آمــال عظيمة ، وروبرت هنشو ، والفرسان الثلاثة ، وسيد فرنسي ، ومدام كودي..

ثم ترجم بعض الشعر الانجليزي والعالمي نظما الى العربية ..

الاسكندرية   نقولا يوسف

شعاع بلادي

أحق بلادي أم الشعاع ؟ ألا يضحك الشمس هذا الخبر
شعاعك يا شمس لون بلادي على كل شيء بها قد ظهر
صباغ السحاب ووشي اليباب وتبر التراب وعطر الثمر
من الغصن نقطف صوغ الشموس وفي الماء نشرب ذوب القمر
أحب شعاع بلادي الرقيق قبيل المغيب وبعد السحر
وأهفو له من حنايا السفوح مطلا وفوق ضفاف النهر
واسمع في الماء الحانه واقرأ اوراقه في الشجر
واجمع من سحر ابداعه الى مكتبي باقة من زهر
وان غاب عني وراء الغمام وخلف سجوف الظلام استتر
تمليته مشرقا في شعوري ضحوكا ببيتي ملء الحجر
كأني بقلبي خبأت سناه فان غاب عني من القلب ذر

وأما الشعاع الذي يزعمون .. شعاع النبوغ الجليل الخطر
شعاع الذكاء المضيء سناه على نفسه لا النفوس الأخر
فذلك ما ليس عيني تراه كأني عنه قصير النظر
بلادي رجراجة في سناه تدب وتهوى ولا مستقر
ينكرها وهجه في العيون خلوبا لعوبا بضوء البصر
متى سوف يرزن هذا الشعاع ويهدأ من بعد كر وفر
لابصر لون بلادي الاصيل ووجه التراب وشكل الحجر

عجبت لمفتخر في بلادي بصنع حروف الهجاء افتخر
اذا نحن تهنا بسبك الحروف يتيه سوانا بسكب الفكر
وما تفخر الكاس بالصانعيها ولكن بمن صب او من عصر

بلادي الى الحب في حاجة وهذا لعمري الشعاع الاغر
شعاع يضيء جمال بلادي لكل غريب اليها نظر
اذا أنت ابصرته في الشفاه أضاء وفوق الوجوه استعر
ولاح لعينيك ملء العيون وملء القلوب وملء الفكر
وأبصرته في دروب الحياة بكل مضيق وكل ممر
وسرت مع الناس في ضوئه واعطيت خيرا فلم تلق شر
وطالعته مشرقا في كتاب غني الحروف مليء الفقر
وراعك ايماضه في قصيد سني الخيال جلي الصور
فقل عن بلادك أم الشعاع ومن كان أنكر هذا ، أقر

فارس سعد

حقائق واوهام في النقد الادبي

بقلم روز غريب

* * *

هناك من يعتقدون ان النقد موضوع قد يستغني عنه الاديب والفنان وربما استغنى عنه القارىء . لان للاولين من الذوق والاحساس الفني ما يغنيهما عن النقد . كذلك القارىء قد يستهدي بذوقه ويكتفي بالتذوق الشعوري والمتعة الخالصة التي لا تحتاج الى اعمال الفكر .

لكن الذوق والتذوق ، ما هما ؟ اليسا حصيلة ثقافة فنية ، واعية او لاواعية ، يتلقاها الفنان والقارىء منذ انفتاح عينيه على ما حوله ، فاذا هي نماذج واصول ومثل وقيم تجتمع في ذهنه تدريجا ، تؤلف ذخيرة ومرجعا يعينه على التذوق الصحيح ، معتمدا على المقارنة والمقايسة والاستلهام وكل ما يؤلف لديه نواة الحكم والنقد .

ليس النقد سوى تذوق عميق ، متعدد المناحي ، يحول صاحبه الى فنان لانه ، نظير الفنان ، يستطيع ان يرى في الصنيع الفني ميزات وخصائص لا يراها كل انسان ، في حين ان الفنان يرى في الطبيعة وفي الواقع اشياء ومزايا لا يراها غيره . فالنقد كالفن ريادة واكتشاف .

النقد وجد منذ وجد الفن ، لازمه وكان اتبع له من ظله والبرهان على اهمية النقد هذا التراث النقدي الضخم الذي حفظته الاجيال عند جميع الشعوب العريقة في حضارتها وهذه الآثار النقدية الخالدة التي تركها عباقرة عالميون امثال افلاطون وارسطو ولونجينوس وهوراس من الصور الكلاسيكية ، و « كانت » وهجل وديدرو وكروتشي وسانت بوف وايليوت وسواهم من العصور الحديثة .

ارتبط النقد خلال تاريخه الطويل بقواعد ونظريات حاول اصحابها ان يفرضوها على الفنانين والادباء لانهم وجدوا فيها مصادر هداية للناشئين منهم ونماذج يحتذيها الذين لم تتوفر لهم وسائل الخلق والابداع ، وقد درج الاسلاف في كل بيئة وعصر على نقل تجاربهم ومآثرهم الى الخلف يحفظوها ويستفيدوا منها . اذكر بهذه المناسبة مشهدا رأيت فيه سيدة يابانية تقوم بصنع الشاي حسب الطريقة الخاصة التي وضعها حكيم ياباني مشهور واوصى بها بني قومه . رأيت تلك السيدة تنفذ المراسيم خطوة خطوة كأنها طقوس دينية يجب تنفيذها بروح الخشوع والطاعة دونما سؤال . كذلك كانت القواعد التي وضعها ارسطو للمأساة عقيب درسه لنتاج عباقرة المسرحيين اليونان ، قواعد مقدسة لا يجوز الحياد عنها .

في النقد حقائق ثابتة اصطلح عليها النقاد في كل بيئة وعصر والتزمها اهل الفن والادب . منها الاعتقاد بأن الفن موهبة ودربة واتقان ، وانه تعبير غير عادي ، فيه مقدار من الابتكار يقيه من الانحدار الى التقليد والابتذال، كذلك اصطلحوا على القول ان الفن مصدر متعة لمتذوقيه بما فيه من اثارة للعاطفة والفكر والخيال ، وان الاثر الفني ، مع مراعاته لقانون الوحدة الذي ينقذه من التشويش والفوضى ، يتصف بالتنوع الذي لا يخل بالوحدة ولكن يلتزمه الفنان منعا للرتابة والاملال .

فاذا جئنا الى الفنون اللسانية كالشعر والنثر الفني وجدنا من صفاتهما الثابتة مقدارا من الموسيقية المعبرة عن المعنى والتزاما للعبارة الايحائية التي تشير الى معان اوسع او ابعد من المعنى الظاهر ووسائلهما لذلك هي الايجاز والاطناب ، المجاز وما يتصل به من فنون التصوير والتنسيق الفني . فكل كلام يشتمل على معنى بعيد او ضمني يدخل في نطاق الفن .

تمتاز قواعد الفن اجمالا بالمرونة المناقضة للصلابة والجمود ، وبالرحابة التي تفتح امام الفنان سبيل الخلق والتجديد . فاذا قلنا ان العبارة الفنية تنكر الحشو وفضول الكلام انبرى من يقول لنا ان الحشو جائز احيانا حين يكون وسيلة توكيد . فالشاعر الذي يقول :

وابني غدا يدعيه   الخلود متى يدعي

كان في وسعه الاستغناء عن « متى يدعي » التي زادها لتتمة البيت لكن القارىء لا يرى فيها مخالفة للذوق لانها تجانس كلمة « يدعيه » فتزيدها بروزا او تضعها في النور .

الا ان هذه المرونة كانت من عوامل التناقض وسوء الفهم وقد عارضها المتصلبون من النقاد فساقوا النقد الى التحجر والجمود ولم يميزوا بين الحقائق والاوهام .

اوهام النقد المعاصر

سوف احصر اوهام النقد المعاصر في ثلاثة وجوه . الاول يتصل بالنقد الذي رفع من شأنه تقدم العلوم الاجتماعية في عصرنا . اعني النقد البيئي والسيكولوجي .

الثاني يتصل بالنقد الذي عززته نظريات الالتزام والواقعية والمذاهب الاخرى .

الثالث يتعلق بالاسلوب والتقنية واوهام هذه الناحية مزيج من قديم وحديث .

اوهام النقد البيئي والسيكولوجي

توضحت اهمية النقد البيئي حين اعلن تين Taine الفرنسي ، الناقد المتشبع بالروح العلمية التي ميزت

القرن التاسع عشر في اوروبا ، ان الادب والفن ، نظير السكر وحامض الكبريت ، حصيلة عناصر متمازجة هي العرف والبيئة والعصر .

وقد ذكر النقاد قبل « تين » ان الادب الجيد ينبع من البيئة ويعبر عنها . لكن تين انفرد بتوسيع الفكرة وتحليلها في كتبه .

اهمية النقد البيئي تعود الى كونه يلقي ضوءا على العوامل التي وجهت الاديب . ففي العصر الجاهلي مثلا كان الفخر ابرز اغراض الشعر في بيئة قبلية قوامها الغزو والبطش والفروسية وشعارها المفاخرة والمهاجاة بين القبائل .

الا ان النقاد الذين ادمنوا النقد البيئي اخطأوا من ناحيتين . اولا انهم حصروا فيه اهتمامهم وظنوا ان نقد البيئة والعصر ، او ما يمكن ان ندعوه النقد التاريخي ، يكفي لنقد الصنيع الادبي او الفني ، من هنا صار تدريس النقد في معاهد العلم شبيها بتدريس التاريخ او نوعا من التحقيق التاريخي . ثانيا ان منهم من ظنوا ان انعكاس البيئة في الادب دليل كاف على جودته ، كما يرى بعض شعراء اليوم ان الغموض دليل كاف على شاعريتهم .

وكلا الفريقين مخطىء لان النقد البيئي اشد اتصالا بالبحث التاريخي منه بالنقد الادبي . فاذا قلنا ان الشعر الجاهلي يعبر عن البيئة الجاهلية فذلك دليل على اصالة ذاك الشعر وانتمائه الى ذاك العصر . الا ان انعكاس البيئة في الشعر الجاهلي لا يعد دليلا على جودته الا اذا سبقه الاعتراف بانه صحيح النسبة الى الشعر قبل انتسابه الى الجاهلية .

ان كتب التاريخ والمذكرات تعبر عن البيئة التي ظهرت فيها لكنها تعتبر كتب تاريخ الا اذا امتازت بالاسلوب الفني الذي يقيم حدا فاصلا بينها وبين كتب العلم . لهذا نقول ان مذكرات سان سيمون من صنف الادب لامتيازها باسلوب فني بين الطرافة ، في حين ان مذكرات نابليون اقرب الى التاريخ . وعليه تكون مهمة الناقد ان يثبت اولا ، باعتماد اصول النقد الجمالي ، ان الصنيع الذي ينقده يستوفي خصائص الفن ويعبر عن طبيعة فنية قبل ان يحلل العوامل البيئية التي شاركت في تكوينه .

ننتقل الى النقد السيكولوجي الذي يتناول شخصية الفنان ومقدار تأثيرها في فنه . هذا النقد ذو شقين الاول تاريخي يروي سيرة الاديب واخباره ويصف ميوله الخلقية ومقدار تأثيرها في ادبه . هذا النقد اذا اسعفنا على تفهم ادبه لا يسعفنا على تذوقه او تقييمه لانه ، نظير النقد البيئي ، لا يطلعنا على اسرار فنه ولا يعلل ما فيه من فرادة او عبقرية .

لهذا يتصدى الشطر الآخر منه ـ اعني التحليل النفساني الذي جاء به فرويد ـ لمعالجة هذه الناحية حين يزعم ان العقد النفسية الكامنة في اللاوعي هي الحافز الاول على النشاط الفني . الا ان بعض الباحثين ينكرون وجود اللاوعي ويرى غيرهم ان التسليم بوجود العقد في منطقة اللاوعي لا يفسر وجود الفن لان العقد قد تحرك الموهبة لكنها لا تخلقها . والنقد السيكولوجي لا يتصدى لشرح اسرار الجمال ولا لاثبات وجوده . فاذا قال فرويد ان عقدة النقص عند ميكال انجلو وجهته في سبيل الفن لا يزيدني قوله اعجابا بانتاج ميكال انجلو او تفهما لعبقريته . لان الذي يهمني من الفنان هو مواطن الابداع في انتاجه لا العوامل المبهمة التي حركت موهبته والهمته الفن .

اسطورة الصدق

من اخطاء النقد البيئي ونقد السيرة اعتقاد النقاد ان ادب الاديب وفن الفنان صورة صادقة لشخصيته .

هذا الاعتقاد اذا صدق احيانا لا يصدق دائما .

فاذا كان اسلوب الفنان او الاديب يعبر تعبيرا صادقا عن موهبته وقدرته على الابتكار والتصرف في فنون القول فالمعاني التي يحتويها فنه لا تصدر دائما عن عقيدة راسخة . ان الشاعر يستطيع ان يمدح الفضل من غير ان يكون فاضلا وان يعظم الكرم من غير ان يكون كريما وان يبرع في تصوير اللصوصية من غير ان يمارسها فعلا .

والروائي يبدع في تصوير فتك الحب بالنفوس وتلاعب الاهواء بالعقول وهو بمعزل عنها . فاملي برونتي في عزلتها كتبت « مرتفعات وذرنغ » وابتدعت فيها ابطالا خياليين من ذوي الشذوذ العاطفي لم يكن لهم اي صلة بتجاربها الواقعية . والمتنبي يقول في بعض شعره :

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب

لكن درسنا لسيرة المتنبي لا يدل على انه لم يمارس الخداع والتمويه . وشوقي في « مجنون ليلى » يتلبس شخصية قيس ويبدع في تصوير اغراض الهوى العذري وفي قصيدة « انا انطونيو » يجيد عرض حالة المحب الصوفي ، ولم يكن شوقي ـ فيما نعلم ـ عذريا في حبه ولا صوفيا .

كان الشاعر ييتس يقول : « شخصيتي الفنية ابعد ما تكون عن ذاتيتي ، فالفنان في فنه يتلبس شخصا اخر ويعبر عن اشواق واحلام اكثر من تعبير عن واقع ذاتي . لذلك يكون من السذاجة الالحاح على موضوع الصدق عنده » .

المعاني العظيمة لا تصنع الفن العظيم

هناك المتأثرون بالاتجاهات الفلسفية المعاصرة الذين يقيسون الاثر الفني بمقدار ما يحتويه من معان فلسفية والفاظ « حضارية » وصور كونية او ميتافيزيقية فينعون على الشاعر الجاهلي خلو شعره من الاتجاه

« الحضاري » والفلسفي الميتافيزيقي ، وينكرون الشاعر او الاديب الذي لا يأتي بفلسفة جديدة وافكار غير شائعة .

الى هؤلاء نقول ان الفلسفة لا تصنع الشعر ولا الفن ولو كان الامر كذلك لكان ارسطو وسبينوزا والفارابي شعراء . والشاعر حين يفلسف شعره لا يخلق فلسفة بل يقتبسها الا اذا كان هو نفسه فيلسوفا وهذا نادر عسير فنحن لا نعرف شاعرا ابتكر فلسفته الا « نيتشه » .

الشاعر مبدع وابداعه يبدو اولا في اسلوبه الذي ينفرد به ويدل عليه . وقد يأتي بملاحظات دقيقة وابتكارات عجيبة في معانيه . يرى الاشجار تتعانق والاعشاب تتهامس . يسمع موسيقى الافلاك وتنهد البنفسج . يلاحظ « بغض الارض للدم » وارتعاش الزنبقة امام نسيم السحر ، ويلوح له في عناقيد الزهر جوقة من الملائكة او يتخيل الفجر مشيرا باصابعه الوردية . وقد يبصر خفايا النفس البشرية بشكل لا يتوصل اليه المحلل النفساني لكن رؤى الفنان انما تدل على قوة تخيل او صدق فراسة ورهافة احساس لا على حقائق علمية او مبادىء فلسفية الا اذا اثبت التحقيق العلمي صحتها او قيض للاحلام ان تتجسد في حقائق . لذلك يعتقد ان الرومنطيقيين الالمان في كشفهم للعالم المحجوب من النفس البشرية مهدوا لنظريات فرويد في اللاوعي كما مهد بساط الريح لاختراع الطيارة .

وهناك المدارس الحديثة التي تحصر قيمة الادب والفن في فائدتهما الاجتماعية وتكتفي من النقد بشرح المعاني وتقييمها من غير التفات الى المبنى والاسلوب .

تلك مدارس الواقعية والالتزام والمذاهب الاخرى التي تعتمد في تقييم الصنيع الفني مقدار انسجامه مع فلسفتها الخاصة . تريده ملتصقا بالواقع ، خادما لمصلحة الشعب ، ملتزما قضاياه ، متفائلا بامكاناته ، بعيدا عن التشاؤمية والانهزامية والفردية والذاتية ، مقيدا بهدف اجتماعي انساني « لا طائرا مغردا تصطفق جناحاه عبثا في الفراغ » .

ونحن مع احترامنا لنبل مقاصد الواقعيين والالتزاميين وامثالهم لا نستطيع ان نفرض الالتزام على الاديب ولكننا نؤمن بالالتزام الحر الذي يترك له حرية الشعور والتفكير ويربأ به ان يصبح آلة دعاية الا ان يكون ذلك باختياره . كذلك نرفض تقييم الفن على اساس المضمون وحده لاعتقادنا ان الاسلوب في الفن مقدم على المضمون .

أسطورة الاناقة

كما لا يزال عند بعض شعرائنا رواسب من عهد سيطرة المبادىء الرومنطيقية ، حين راجت عندنا عبادة المراة في الشعر وتأليه الخيال واللذة والالم واطلاق حرية الاهواء، كذلك لا تزال تسيطر علينا رواسب من عهود التصنع والتحذلق العباسية ، حين شاع الاسلوب الانيق المترف والتزمه الادباء « لذاته » لا لمناسبته المقام فقدموا اللفظ على المعنى في المواقف التي تستدعي وضوح التفكير ودقة التعبير ، كأنما المقصود بالكلام ان يطرب الاذن ويبرز براعة الكاتب في النحت والصقل وان ساقه ذلك الى السخف والغموض .

اسطورة الاناقة ، ظاهرة ورثناها من عصور الملابس الفضفاضة السابغة والاواني المزخرفة والاثاثات المكدسة . ووجود هذه الظاهرة في عصر الرياضة والسرعة والدقة العلمية دليل تخلف وجمود . الشعر في عصرنا « كلام مشحون شحنا قويا » وهو اقرب الى الاختزال واشبه بالتصوير الصيني والشعر الياباني في اعتماده التلميح والايجاز والرمز والوثب وسائر ضروب الايحاء . بل ربما استوحى العبارة الشعبية الخشنة وادب الفولكلور واساطير عهود الفطرة ، فيجري فيه اختيار الالفاظ لمناسبتها لا لاناقتها .

ان انصار التأنق في عصرنا يجب ان يتذكروا مبدأ اعلنه الجاحظ منذ عشرة قرون حين قال « وانا ازعم ان سخيف القول مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفخم » .

ذلك هو مبدأ « مراعاة مقتضى الحال » الذي يعد ركنا ثابتا من اركان الكلام وقد ورد في كتاب « الخطابة » لارسطو قبل الجاحظ بثلاثة عشر قرنا وخلاصته ان الاناقة لا تصح الا في مواقف معينة .

لنورد مثلا هذه العبارة : « تغيرت انت وتغيرت الديار » ولنقارنها بقول الشاعر :

لا انت انت ولا الديار ديار

نجد ان العبارتين بمعنى واحد لكن الثانية تعبر عن انفعال وتناسب موقفا عاطفيا اما الاولى فتناسب موقف هدوء واتزان ، لهذا جاءت خالية من الايقاع .

اذا كان الشعر لا يصلح لغير مواقف الانفعال وشبوب العاطفة ، كذلك النثر الشعري . اما الاصناف الاخرى من النثر فمنها نثر بين بين يناسب القصص والمسرح ومنها نثر البحث العلمي الذي يجافي الاناقة والترف اللفظي ويحصر الاهتمام في صحة المعنى ودقة التعبير . والنثر الصحافي الذي تقدم فيه الطرافة المعنوية وخفة الظل على الاناقة اللفظية .

ان نثر المقالة الصحافية عندنا يتطور تطورا محمودا . يقلع عن الاسلوب الخطابي التقليدي ، يهمل الزخارف اللفظية والتراكيب الموروثة ، يقترب من عبارة اساتذة الحوار والقص في كلامنا الدارج . عبارته قصيرة، حرة ، شبه عفوية ، تهمل ادوات الوصل والجزالة

لفتة

حملتني الدروب في مهمة التيه ، فطاشت مع الدروب شؤوني
وتبارت بي الخطوب ، فما تنفك تسعى لعاليات عريني
ضيعتني الاهواء ، حتى مللت السير في مسرب الحياة المهين
فكان الزمان ـ يا ضيعة العمر ـ صحارى ترادفت في جبيني
وكان الرغاب في سبسب الشوق امان تلفعت بالشجون
آه منها ، وآه امسي منها ، بددتني ما بين عنف ولين
لفتة تسكب المهابة في القلب ، وشك يجول عبر اليقين

دمشق — اسماعيل عامود

اللفظية لكن وراءها طاقة فنية وتمرسا في افانين الحديث الممتع .

اوهام التصنيف

كان القدماء يصنفون الشعراء وسواهم من الادباء حسب عصورهم اي تصنيفا تاريخيا . وقد حاول ابن سلام تصنيفهم حسب طبقاتهم فوقع في اخطاء عديدة . وحاول غيره من النقاد تصنيفا آخر فقال الآمدي في البحتري انه كان على مذهب الاوائل لم يفارق عمود الشعر اما ابو تمام فخالف التقليد . وقد يكون الآمدي اول من اشار الى اختلاف المذهب عند شاعرين متعاصرين . اما في عصرنا فقد ساقنا تكاثر المدارس الادبية عند الغربيين وتأثيرها في ادبنا ، الى محاولة تصنيف شعرائنا وناثرينا على غرار التصنيف الغربي .

هنا يجب ان نذكر امرين اولا ان المدارس الادبية نشأت في الغرب ، لا في بلادنا ، وادباؤنا المعاصرون تأثروا بتلك المدارس ولم ينتسبوا اليها . وهم حين ألفوا عصبة او رابطة ذات اتجاه تجديدي ، كما فعل ادباء المهجر وجماعة « ابولو » ، لم يرتبطوا بمدرسة ادبية معينة ولم يحددوا لذواتهم اسلوبا خاصا وانما استهدفوا الثورة على القديم وتجديد الادب العربي تجديدا يشمل النوع والموضوع والاسلوب ومنهم من اصابه تأثير عدة مدارس مجتمعة ، كما هي الحال في ادب جبران ونعيمه وابي ماضي . واذا غلب عليهم جميعا طابع الرومنطيقية فلأن هذه المدرسة كانت اسهل منالا واوسع مجالا من سواها ومنها نبعت جميع الحركات التجديدية المتأخرة .

ثانيا ـ ان الغربيين انفسهم ، رغم انقسام ادبهم في كتب التاريخ الى كلاسيكي ورومنطيقي ورمزي وغير ذلك ، يلتزمون جانب الحذر في تصنيف ادبائهم . فهناك الادباء الحائرون بين الرمزية والسوريالية ، امثال رامبو وجيرار دو نرفال . او بين الكلاسيكية والرمزية نظير بودلير وفاليري او بين الرومنطيقية والرمزية نظير الفرد دو فيني . لذلك نجد ناقدا كبيرا مثل كروتشي ينكر التصنيف ويقول : هناك شعر جيد وشعر رديء وكل تصنيف آخر يعد فاشلا .

والامر الذي يجب استنتاجه هنا ان نلتزم نحن كذلك جانب الحذر في تصنيف ادبائنا . فنشير الى علامات تجديدهم من غير ان نحشر كلا منهم في احدى المدارس الغربية التي قد يكون تأثره بها عارضا قليل الوضوح او مبنيا على مشابهات عفوية او من نوع توارد الخواطر والمشاركة الانسانية الحرة . فنحن اذ نلاحظ اغراب امرىء القيس او ذي الرمة في صورهما الشعرية قد يبدو لنا وجه شبه بينهما وبين السورياليين رغم انعدام الصلة الزمانية او الثقافية بين الفريقين . في هذه الحالة يجوز لنا ان نلاحظ المشابهة وان كانت ضئيلة لكن من السذاجة ان نصنف امرء القيس وذا الرمة مع السورياليين .

النقد ريادة واكتشاف ، تفسير وتوسيع وتحليل للمادة التي ننقدها ، يرافقه تعليل وبرهان . والناقد يعرف اصول النقد العامة كما يعرف الطبيب احوال المرض واغراضه . لكنه مثل الطبيب يدرك ان لكل فنان مزاجه وتجاوبه الخاص فلا يصح تطبيق قواعد واحدة على جميع الافراد الذين نتخذهم موضوع درسنا . وكما انه يحق للفنان تخطي القواعد كذلك يحق للناقد .

روز غريب

غياب

ماذا ؟ ماذا
واعود اهز جدارا باهت
واناجي التقويم الصامت
يتلمس اصبعي الشاهد
رقما هارب
يبصم شكله
يرجوه ان يبقى يتسمر !
ان يغدو شمسا تتالق
قمرا يسهر
يرقب مثلي عود الغائب !
فيدور الرقم ، يزوغ الرقم
يطير ، يجن
ويزوبع في القمقم مارد
يأبى السجن !
يرفض أن يمسي
ـ ما تهوى نفسي ـ
في الافق شراعا للعائد !

●

قلبي مطبق
والهدب حنين مرتحل
في الياس المتقطر يغرق !
فانا وحدي
اشعل وجدي
في العتم منارا ...
قنديلا
انظر في التقويم الصامت
واحر رماد جدار باهت
يتلمس اصبعي الشاهد
رقما هارب
يبحث عنه
يبصم شكله
ويحاول ان يضفر منه
منديلا
اكليلا
والرقم يزوبع ، يأبى السجن ...

●

وانا وحدي
وحدي
وحدي
اترقب في غفو المقله
في الحلم الشارد
عود الغائب

اديل الخشن

الشويفات ـ لبنان



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

***

يقولون .. ويفعلون !

حين كان العربي ..

يسير في وطنه الواسع الارجاء ، مرفوع الرأس ، عزيز الحمى ، موهوب الجانب ، لا تمرغ هامته مذلة الهوان ، ولا يتجرأ عدو مهما بلغت سطوته ان يقتحم لـه حـدا ، ليقينه ان الذي سوف يلقاه عند ذلك الجد من قوة ومنعة ، كفيل بأن يحطم عدوانه ، ويرده على اعقابه مذموما مدحورا ، يجر اذيال الخيبة والفشل ..

حين كان العربي كذلك ..

كانت توافيه الايام المشهودة ، فتمتلىء معها الديار بالبهجة ، وتعم فيها الغبطة والسرور ، ويومذاك .. كان يستمرىء الناس ايامهم تلك بكل ما فيها من نعيم ، ويرون فيها اياما مشهودات بكل ما في الكلمة من معنى ، وذلك بعد عناء الجهاد في شتى ميادين العمل المثمر ، والدفاع عن محارم الاوطان .

والعربي اليوم ..

حين يستقبل يوما من ايامه المشهودة ، يستقبل فيه ما يذكره بذلك الماضي المشرق ، ثم يذكره الى جانب ذلك بحاضره القاتم البغيض ، حيث تطالعه فيه المواقف الكالحة ، التي اصبح فيها تغتصب اوطانه ويشرد اهلها، وتسلب ثرواته وينتهبها الطامعون في وضح النهار ، ويشن العدوان على حدوده ، فلا يملك الا الشكوى ، تتلاحق بتلاحق العدوان ، ولا يحرك ساكن للدفاع عن هذه الحدود .

واذا ما تعرم الخصم واشتد عناده ، وابى ان يتزحزح عما يحتله من اقطارنا برغم شتى القرارات الدولية ، لم يجد منا غير التهديد والوعيد ، وحشد كافة ما لدينا من طاقات الكلام ، ثم ينتهي ذلك كله الى غير ما عمل ، ويتلاشى هباء منثورا ...

فواذلاه .. كيف لا نبدل الواقع المهين ؟!

وكيف يغيب عنا — ونحن دون تجيش الجيوش — ذلك القول المأثور : « ما ترك الجهاد قوم الا ذلوا ؟ » .

وكيف لا نتعلم مما يصنعه عدونا فينا حين يصنع اكثر مما يقول ، وحين لا يمنعه من تنفيذ مخططاته حرب تدور في الصين ، او اخرى تشب في البرازيل ، او ضباب ينعقد فوق جبهات القتال فلا تتضح معه الرؤية؟!

ترى .. كيف يغيب عنا ذلك ، وكيف يفوتنا ان نتأثر به ؟!

مع الذكرى

حين تتوافر الجراة في النفوس ، تهون لديها المنية، وترخص معها الحياة من اجل احراز النصر ، الذي يصبح مطلبا دونه كل مطلب . وعندها لا يغلب صاحب الجراة غالب . ما دام قد صمم على ان يبلغ احدى اثنتين : تحقيق ذلك الهدف او نيل الشهادة ، ولهذا ورد في القول المأثور : « من طلب الموت وهبت له الحياة .. » .

واما اولئك الذين يطلبون الحياة ويخافون الموت ، فانهم هم الذين يغلبهم الغالبون على ما في ايديهم ، ويصبحون نهبا مقسما حين يجتاحهم الغزاة ، وما اكثر هؤلاء الغزاة في كل جيل وفي كل عصر ، وان تمايزت الوانهم واختلفت اشكالهم ، وحرفوا الاسماء عن مسمياتها ، وهم يطلقون عليهم الالقاب والنعوت .

وان من اصحاب الجراة الذين لا يغلبهم غالب ، تلك القبضة الضئيلة القليلة من الرجال ، الذين قيل عنهم يومذاك انهم : (اكلة جزور) ، واعني بهم جماعة المسلمين في بدر ، حين وقفوا بعددهم القليل شبه الاعزل الذي راوح الثلاث مئة ، في وجه العدد العديد ، والسلاح الذي جاوز الوفرة والكثرة ، فثبتوا ثبات الجبال ، وقاتلوا قتال الرجال ، واقبل الواحد منهم وهو يحرص على الموت حرص عدوه على الحياة ، فغلبوا وسلبوا ، واستأسر لهم من سادة قريش البهاليل ، ممن توهموا وهم يقبلون على المعركة انه لن يغلبهم غالب !

وان من اصحاب الجراة كذلك ..

اولئك الذين وقفوا عند شاطىء الاندلس ، يقول

لهم طارق بن زياد وقد اشفق عليهم لضآلة عددهم امام ذلك الجحفل الجرار من اعدائهم ، فيرد بالصوت الجهير : « البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر .. » . وصدقوا وصبروا كما اراد قائدهم ، فكانت لهم الغلبة !

وان من اصحاب الجراة اخيرا ..

اخوتنا في الامس القريب من ابناء الاردن ، وقد وقفوا امام عدوهم الزاحف اليهم في (الكرامة) بعدد يفوق عددهم ، فصمموا على احراز النصر ، وثبتوا ثبات الجبال ، فاذا هم يفعلون الاعاجيب ، وليس في ايديهم من السلاح حيال ما داهمهم عدوهم به غير الضئيل قليل الجدوى ، واذا هم يتعقبون خصمهم في تقهقره ، فيضطرونه الى الانحدار ، وهم يصيبون منه كل مقتل.!!

اجل .. اولئك هم اصحاب الكرامة ، وهم يسيرون على غرار من سبقوهم بين ثنايا التاريخ ، فيحرزون مثل الذي احرزوه في مواقفهم تلك من نصر مؤزر .

ولقد رأيتني استعيد في الخاطر موقفهم ذاك حين اظلتنا منه الذكرى ، فما احوجنا الى ان نتذكر مواقف البطولة والتضحية ، ونحن نقف من عدونا موقفا تتأرجح معه بوادر المعركة ما بين عشية وضحاها .

ما احوجنا الى ان نتذكر ذلك ..

فلعلنا نجد فيه الاسوة الحسنة ، ولعلنا نجد فيه العبرة !

في اكرم الاعياد

كيف انساها ؟! ..

تلك التي كانت تعطي عطاء الجواد وهو يمنح بسخاء كل ما وصلت اليه يده ، دون ان تمن بما اعطت وما بذلت ، وما اكثر ذاك الذي كانت تعطيه وتبذله .. حتى لا يحيط به حصر !!

تلك التي كانت تغضي عن المكروه حين يبدر هذا المكروه ، وما اكثر ما كان يبدر بقصد او بغير قصد ، ولا تقابله بأكثر من ابتسامة الغفران والتسامح ، وكان بوسعها ان تفعل غير ذلك .. ولكنها دائما لا تفعله .. وهي قادرة عليه !!

تلك التي كانت ترتضي الحرمان بكل ما فيه من قسوة وجفاء ، من اجل ان ترى سواها يناله ذاك الذي حرمت نفسها منه ، فيبهجها ذلك ، ويملأ نفسها بالغبطة والرضوان !!

تلك التي كانت تسهر الليل بطوله الى جانب ما تكبدته من جهد النهار ، في سبيل ان تخفف الالم حين يشكو منه اولئك الذين حرصت على ان تجنبهم كل عثرة من عثرات الدهر ، وان ترد عنهم كل عادية من عواديه ، حتى ولو كلفها ذلك ان تردها بحشاشة كبدها .

تلك التي احبت الحب كله ، والحب في اصدق صورة من صوره ، وفي اسمى غاية من غاياته ، وفي انبل معنى من معانيه ، وفي اشرف وجه من وجوهه . ولم تترقب ان تملأ يديها من وراء ذلك بمثوبة ، او تنال عنه عوضا او جزاءا !!

تلك التي بذلت غاية الجهد ، من اجل ان تدخل السرور الى قلوب من حولها ، وتغسل ما تراكم فيها من ضباب الاسى ، بعد الذي تعرضوا له من عواصف الحياة ، وما اكثر ما كانت تخفي وراء الابتسامة التي اشرق بها وجهها قلبا امضه من الالم ما لا طاقة لها به ، ولكنها كانت تكابر وتتجلد ، ولا تقيم وزنا لما كانت تعانيه، ما دامت تعيد البهجة والسرور الى نفوس من حولها ، وتعيد اليهم الضحكات الحبيبة ، التي تنطلق من اعماق الصدور !!

كيف انساها .. وكيف انسى ذلك منها ؟!

وانه في المكان الذي لا ينسى ولا يجوز ان ينسى ، ما دامت في الدنيا مشاعر تمتلىء بها ثنايا القلوب ، ويقدر معها بنو الانسان لكل محسن احسانه ولكل صاحب فضل فضله ، ويعترفون معها كذلك بكل صنيعة من صنائع الخير والبذل والعطاء !

انها الام .. والام دونما تحديد ، وكائنة من تكون هذه الام ، وهل كان احد غيرها يماثلها في ذلك ، ويصل الى ادنى مرتبة من مراتبه ؟!

هيهات ان يكون ذلك ..

وان من حق الام على كل انسان ان يبثها مثل هذه النجوى ، ما دام من حقها عليه ان يعترف لها بفضل الامومة ، بعد ان اصاب من برها وحنانها ما تمتع به منذ كان طفلا غض الاهاب !

ان من حق الام على كل انسان ـ ذكرا كان ام انثى ـ ان يفعل ذلك ، وان يصحبه اذا استطاع ببعض ما تصل اليه حيلته ، مقرونا بكل ما تستطيع ان تحمله شفتاه من عبارات الحب الصادق ، يعطرها الولاء والاعتراف بالجميل .

اجل . ان من حق الام على كل انسان ان يفعل هذا كلما اطل (عيد الام) ، وترامت له افياء وظلال !

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

وجه

وجهك يا سمية
يا طفلتي البريئة الحيية
يشع بالنقاء
يشع بالصفاء
ينشلني ...
من وحدتي الابدية

الزقازيق ـ مصر — حسين علي محمد



بقلم ابراهيم اسعد الشنطي



نشأ في بيئة محافظة يلتزم جميع افرادها بالعادات والتقاليد الموروثة ، وكان والده ميسور الحال يعمل في التجارة . لقد رزق ابواه بضعة اطفال ، ولكنهم قضوا جميعا وهم في مرحلة الطفولة . وما ان بلغ مبلغ الرجال حتى زوجه والده من ابنة اخته الارملة التي جاءت لتعيش في كنفه هي وابنتها عندما توفي زوجها . وعاش عبد الله وزوجته في منزل والده ، معززين مكرمين . بعد سنة رزقا بولد اسمياه باسم والده الذي توفي بعد زواجه ببضعة اشهر .

احسن عبد الله التصرف بمال أبيه فنماه وزاد فيه ، وزار البلدان المجاورة واحس بالتطور وشعر بالتغيير ، وصار يتحرر من تقاليد بيئته وينظر الى الافق الرحب ليتذوق الحياة العصرية وما جلبته معها من نعم وملذات ، فادخل الى بيته الراديو والثلاجة والتلفاز ومكيف الهواء ، والغسالة الكهربائية وفرن الغاز وغير ذلك .

ولم تكن زوجته تحسن استعمال بعض هذه الاجهزة ، وكثيرا ما كانت تفضل ان تغسل الثوب بيديها على استعمال الغسالة خوفا من ان تمسها الكهرباء بسوء ، ومع هذا فقد كانت تقوم بعملها في المنزل بكل جهد واخلاص .

وكبر « توفيق » والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية ، وكان كوالده وحيد والديه ، ولكن له خمس اخوات . وتزوجت اختاه الكبيرتان من غير اقربائهما ، فأبو توفيق يريد التحرر من القيود المفروضة ويريد ان ينطلق مع الركب المتطور .

ومن خلال تجواله في مختلف الاقطار وتذوقه مباهج المدنية مع بعض اصدقائه صار يميل عن « ام توفيق » التي بدأت تخطو مترهلة في العقد الخامس من العمر ، وصارت نضارتها تخبو وشبابها يتوارى يوما بعد يوم .

واتم توفيق المرحلة الثانوية فارسله والده الىعاصمة بلد مجاور لينهل من العلم ما يشاء ، فهو لا يريد ان يقيده بنوع من العلم يقصر همه عليه ، بل يريده ان ينطلق بحرية فيختار ما يشاء ويعيش كما يريد .

عندما عاد توفيق لقضاء العطلة السنوية بين اهله ، اشار بعض الاصدقاء على والده ان يزوجه ان كان يريد حفظه من الغواية . فالمدينة التي يدرس فيها كبيرة وفيها الكثير من وسائل اللهو والاغراء والفتون . كان جوابه لهم في كل مرة ، انه لا يريد ان يقيد ولده كما قيد هو من قبل ، بل يريده ان ينطلق حتى يسكن من تلقاء نفسه . فهو لا يريد لابنه الوحيد ان ينطلق ولديه عدد من الابناء ، كما يفعل هو الان . لذلك فقد صمم على تركه يجول ويختار حتى اذا ما حان الوقت وطلب الزواج ، اختار شريكة عمره بدون قيود فيسكن عندئذ اليها ويستقر .

نعم ، انه لا ينسى ما فعله في العام الماضي عندما سافر الى المدينة التي يدرس فيها ولده بحجة ان يراه ويطلع على اعماله في المدرسة . لقد كان ولده وسيلة لا غاية ، وكان ذريعة اتخذها لتحقيق قصده . كانت « سميرة » ، التي اتخذها صاحبة له وخليلة منذ بضع سنوات ، تريد ان تنتقل الى تلك المدينة لتكون قريبة ، على حد قولها ، من شخص يريد الزواج بها . فلم يطق صبرا على فراقها وتبعها وقضى بضعة ايام معها بعيدا عن اعين الفضوليين . وقد كان دائما حريصا في هذه الناحية حتى انه كان يخفي اسمه الحقيقي عنها هي ، وكذلك مركزه الاجتماعي وبلدته التي يقيم فيها . وما تركها الا بعد ان وعدته بنسيان فكرة الزواج كليا ، ووعدها هو من ناحيته ، بارسال ما تحتاج اليه من نقود ، وبزيارتها في السنة القادمة ليقضي الصيف معها . لن يتأخر ابدا ، اذ لا بد ان يأتي ليشهد حفلة تخرج ولده من الجامعة وهذه مناسبة لا تفوت . سيأتي تشيعه زوجته بدعواتها الحارة كي يرعاه الله وولدهما الذي سيكون اول شاب يتخرج من الجامعة في بلدتهم .

واجتهد ابو توفيق في عمله وسافر الى عدة اقطار لتنمية تجارته ، لكنه عاد من آخر هذه الرحلات منهوك القوى متعبا ، فقد اصابته حمى شديدة الزمته الفراش مدة طويلة ، وحالت دون حضوره حفلة تخرج ولده ، فاكتفى بارسال ما يكفيه من المال ، ويزيد عن حاجته .

تأخر توفيق عن موعد عودته بضعة اسابيع فكتب والده اليه يستفسره عن الامر ، ولكن برقية وصلت منه في عصر اليوم التالي تفيد بانه قادم بالطائرة في صباح الغد ومعه مفاجأة سارة .

انهمك اهل الدار بالاستعداد واستدعيت الاختان المتزوجتان للمساعدة في اعداد المنزل ليليق بمقام المفاجأة السارة . وفي الصباح استيقظوا مبكرين واعادوا ترتيب

الشجرة الهرمة

●

عـاد الربيـع معطـر الانفاس … فعلام صمتك دونما احساس
الروض طلـق والطيور نشائـد … والمـاء منساب الـى الاغراس
حيث المواكب باكتمـال ظاهـر … بجمالهـا كمواكب الاعـراس
كل الغصون مـع النسيم تحـرك … الا غصونـك في وجـوم قـاس
كانت ظلالـك للصغـار ملاعبـا … في غمـرة الافراح ، والايناس
او يقطفون مـن الثمار جنيـة … وسط النهـار بغفلـة الحراس
واليوم وحدك في العـراء حزينة … تتحرقـين الـى ظـلال الآس
لا حارس البستان قربك ساهـر … يجني الثمار ، ولا ضجيج الناس
بعـد العطاء هرمت في شجراتهم … لتكابـدي الاسقام ، دون مؤاس

العراق ــ الكوت … كاظم محمد حسين

المنزل .

وازفت الساعة المقـررة ومرت طائرة منخفضة العلو باتجاه المطار وكانوا يقيمون على مقربة منـه ، فقالت احدى البنات موجهة الحديث لامهـا :

ــ أتعرفين .. اظن ان هذه هـي الطائرة التي فيها توفيق !

ــ صحيح .. وهل حان الوقت؟ اين انت يا ابـا توفيق أمـا زلت تستحم ؟ ها هي الطائرة قد وصلت!

ورد ابو توفيق مـن الداخـل قائلا : « لا .. لا اظـن ذلـك ، فالساعة الآن التاسعة فقط ، باقي ساعة بالضبط ، وعلى كـل حال سنكون هناك قبل الموعد » .

وسارت الدقائق بطيئة ، وكـل واحد من افراد العائلـة يستعجل الاخر ويستحثه على السرعة واخيرا تم كل شيء على ما يرام ووقف اهل البيت في ساحة المنـزل ينتظرون ابـا توفيق ليفرغ مـن ارتـداء ملابسه .

وفجأة قرع الباب فاسرعوا لمعرفة الطارق ، وما كادوا يصلون حتـى كان توفيق يدخل المنزل ومعه فتاة ميادة القد ، ريانة الصبا ، ممشوقة القوام تضع على عينيها نظارة سوداء سرعان ما نزعتهـا لتسلم علـى المستقبلين الذين احاطوهما من كل جانب .

وعانقت الام ولدهـا وكذلـك الاخوات ، وقدم هو الفتاة ، التـي ترافقه ، بانها خطيبته ، وان امـر الخطوبة كان السبب في تأخره عـن موعد حضوره .

واخذت ام توفيق بجمال الفتـاة وكذلك الاخوات، وما استيقظت من دهشتها الا حينما سأل توفيق عـن والده ، فصاحت امه وهي متجهة نحو الحجرة التـي يرتدي فيهـا زوجها ملابسه :

ــ ابو توفيق .. ابـو توفيق ، تعال شوف ، ولدك جـاء ومعـه عروس تقول للقمر غيب وانا مكانك.

ــ وانا ابوك يا توفيق ، انا مـا قلت لك انه طالع لابيه ، ظني فيه ما يخيب !

ووضع ابو توفيق قدميه فـي الحذاء مسرعـا ، وسار بخطوات واسعة يعانق « ولده » الذي انكب على يده يقبلها ، ثم سار معه ليعرفه على خطيبته التي تقف مع اخواتـه في صحن الدار وقدمها اليه قائلا :

هذه « سميرة » خطيبتي ..

ــ انت .. انت خطيبة ولـدي ، خطيبة توفيق ، لا .. لا يمكـن .. لا يمكن هذا ابدا !

قال ابو توفيق ذلك وهو يسقط على الارض بين يدي ولده ، ويـده المرتجفة لا تزال تشير نحو الفتـاة بعصبية شديدة .

الظهران … ابراهيم احمد الشنطي

سوق الحميدية

عقدوا لـه زبـر الحديد عمائمـا   فمضى بقادمة يحلـق حالمـا
تتقـادم الدنيـا علـى شعفاتـه   وتراه مـن غير الحوادث باسما
قصرت يد الاحداث عنه فاطبقت   عجزا وظل على الحوادث قائما
شابت مفارقـه ولـم ترزح لـه   قدم ولـم يطرق برأس واجما
وسعت جوانحه الجموع تلاطمت   أطباقهم كالسيل يعصف عارمـا
كل تفيـأ رفرفا مـن دونـه   ورأى بـه دون الهجيرة عاصما
لا صدره يومـا يضيق بوافـد   متطفل او كـان يزجر قادمـا
أرخى على الجمع الغفير جناحـه   من رحمـة وحنـا عليهم رائما

سوق تطاول كالصراط ولم يكـن   وهو الصراط يروع يومـا غاشما
وسع الجميع وكل شخص جاءه   عـاد المعافى ظافرا او سالما
وجدت بـه زمر الكواعب منهلا   نقع الصدى وشفى الفؤاد الحالما
ورأت بـه الاطفال رجـع ظنونهم   يفتر عـن شنب ويهمس باغمـا
وتعوذت زمـر الرجال حيالـه   كتعـوذ المظلـوم آنس ظالمـا
هدرت بـه أموالهم وتبـددت   في مثل طرف العين أطبـق نائمـا
سلع كمـا تهوى الرغاب تكدست   اطباقها بيـد الرغاب غمائمـا
من كـل اصفر فاقـع او ازرق   زاه واحمـر ، تستثير سخائمـا
تجد الفقير يمـر مـر سحابـة   مـن دونهـا متحسرا او نادمـا
وتـرى النساء تطلعت مشدوهة   وكانهـن بـه كشفـن عوالمـا

سوق بنـور الكهربـاء تزينت   أطواقه فأهـل يشرق باسمـا
سطعت ثواقبـه بنور ثواقب   تجلو الدجى وتزود ليـلا قاتمـا
أنوارها فيء الظـلال شعاعهـا   لا جاحم النيران يقذف جاحمـا
كادت تسيل من النضارة رقـة   في فاحـم لليـل يحصب فاحمـا
وتناثرت مثـل الصوارم فتيـة   تحكي بهمتها الفرنـد الصارمـا
بغمت بمعسول النـداء لعلهـا   تلقى سميعا او تنبـه ساهمـا
تسعى وتكدح للحياة ومـا بهـا   طفل على شظف ، تبـرم ناقمـا
نزلت على شرع الحيـاة وشمرت   عـن ساعد حتـى تكون الغانمـا

سوق تجسدت المطامـع دونـه   مقـلا مؤرقـة ترف حوائمـا
زخرت متاجـره بكـل عجيبـة   دقت ، وجلت صنعـة ومعالمـا
طرف كاعلام الربيع علـى الثرى   نشرت ورفت طـرة وتمائمـا
نظمت على الاطباق طاقـات كمـا   نظم الربيـع خمائلا وكمائمـا
والناس افـواج تطـوف حيالها   كغمائم عصفت تسوق غمائمـا
او انهم وفـد الحجيج تلاطمت   أعلامه والليل يزخـر فاحمـا

فتـن اللبيب بـه فخـال فؤاده   مـن نشوة ممـا رآه واهمـا
ما كان يدري مـا يضم رحابـه   وهـي العريضة متجرا أم عالمـا

دمشق   عدنان مردم بك



وحيد الدين بهاء الدين

لوحات شعرية من زكي قنصل

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

غير محمول كلامي على محمل المغالاة لو نعت شاعرا من المهجر الجنوبي وفي مستوى عال مثل زكي قنصل بالشاعر الفنان .. لانه كذلك . قال عنه البدوي الملثم في كتابه « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية » : « وزكي شاعر فنان يمر كل آن بمشاهد تمر بها انت وانا ، فنراها تافهة ولكن زكيا اقام من تلك المشاهد التافهة اشخاصا لهم وزن في الحياة ورسالة يؤدونها في صدق وصمت .. »

مهما يكن من شيء فهل يفتقر ذلك الا الى تدليل .؟!

اذا كان زكي قنصل بتحديه جور الايام به ومصابرته على المكاره والشقاء في ذلك المحيط المعقد الضاج بالنزعات المادية ، قد تمكن من اثبات شخصيته في ما تسنى له من مجال العمل وخوض معركة الفكر ، فانه قد قيض له ان يقبض على صولجان الشعر بمثابرته على التثقيف الذاتي والانفتاح على الآفاق والتفتيش في مسالك الحياة ، متأثرا بما يترامى اليه عبر حواسه الواعية لكل ملهاة ومأساة ، وعبر افكاره الملتقطة لكل صوت وصدى .

في شعر زكي قنصل غير قليل من اللوحات المنصهرة في بوتقة الفن ، اشتقت من خبرات حياتية .. حضارية . كذلك فيه صور روائع .. نواطق تتداخل فيها عناصر الحب والحنين والكآبة ، وتتواجد فيها سمات العفوية والخصوبة والثورة ..

معناه : ان شعره وليد الواقعية ...

ان هذه اللوحات والصور التي تعود بجذورها الى مكونات عديدة ومعينة لدى الشاعر القنصل انما تعبر عن جموحه العاطفي وطموحه المتجسد في اغواره ، وترسم خطوطا بارزة لمشاطراته القومية والانسانية ، ثم تفصح عن اصالته في المعاناة الشعورية ، وقد صبت في تلك القوالب الفنية الملائمة ، بما لها من حيوية وحركة الى حد تكون معه القصيدة ذات وحدة انسانية مؤثرة تارة ، او كيانا مستقلا ولكن بطبقات تخضع كل واحدة منها لظاهرة المد والجزر — ان صح التعبير — كما لو كانت سمفونية عبقرية تارة اخرى .

العاطفة عند زكي قنصل موصولة الشبوب والجموح .. انها مهماز نبوغه الشعري وعلامة مضيئة على درب تطلعه ونار مقدسة تصهره ثم تصوغه صياغة جديدة .. مشحونة بطاقات من الجمالية والانطلاقية توفران له وللقارىء المدرك قدرا مشتركا من نشوة الفكر وبهجة الروح ، حتى لكأنه .. متبول يتوقل شواهق القمم بشوق تلقائي ويتعمق اسرار الكينونة واللانهاية على رسله :

لولا الملاح وسحرهن لما   عرف البشاعةُ في الهوى ثغر
كلا ولا هب النسيم .. ولا   لاحت ذكاء ولا زكت ...

. . . .

بابي وروحي من اذا ابتسمت   ايقنت ان الكون يفتر
والزهر ان يضحك بحضرتها   فلكي يحل بصدرها الزهر
والبدر ان يطلع وقد رقدت   فلكي يقبل ثغرها البدر

ومن نافذة عواطفه يستشرف زكي قنصل مرفأ ذكرياته وامنياته ، ويستعيد نداء الحياة والمجهول في رحاب ذاته ، طارحا زفراته الحبيسة في صدره ، محققا بالتالي طموحه المتجسد في قراره :

كيف التغني ونفسي كلها الم   يا للهزار قضى في زوره النغم
اين انطلاقي وراء الحسن اشربه   دمعي واطعمه قلبي والتهم
هذا الضعيف بصدري لم يعد حرما   للحب.. اخنى عليه الحب والهرم
خفوقه كدبيب الظن حشرجة   أهذه غاية الغلوان يا هرم
غاضت منابع الهامي فوالهفي   هل يضحك الحقل ان لم تطهل الديم
لا لن اسومك ان تشدو على فنن   الروض ما دهاه ساهم وجم
هذا سراحك اذهب غير متهم   من كان كالشمس لم تعلق به تهم

من هنا كانت لوحاته العاطفية تمثل شرائح من منسولة من كيانه وضميره .. وهي تنبض بنفحات الحب والحنان وصرخات الانعتاق والتوثب ورعشات اللوعة والرجاء :

يا مهد احلامي لئن شردت   قدمي فروحي عنك لم تغب
ما زلت في مغناك اذرعه   من مرتعب خصب الى خصب
ان كان لي في العيش من ارب   يغرى فانك منتهى اربي
اهواك مزورا ومبتسما   واراك في حزني وفي طربي
اغفو ورسمك في مخيلتي   وافيق وهو يجول في هدبي

على ان عاطفة زكي قنصل وان كانت موزعة على مستويات شتى فانها كالمحرار يتأثر بعامل المناخ ، مرة هابطة واخرى صاعدة ..

الا تأملت معي هذه اللوحة : الوانها وظلالها .. خيالها ومضمونها .. ارضيتها المستشفة عن عمق

الرؤيا وحدة التجربة العاطفية وجلال التعبير :

غدا تطير الى الفيحاء غلواء   هل يلتقي بعدها قيس وليلاء
قلبي على الركب حوام يشيعه   والقصد انت فما في الركب اغراء
لولاك ما هزني شوق لذي سلم   ولا شجاني الى الزوراء حداء
غلواء مرت ليالي العمر فارغة   هلا استرحنا الا يضنيك اسراء
عيناك عيناك في حلي ومرتحلي   دار واهل ومرساة وميناء

تلك ابيات من قصيدة غلواء ...

وغلواء وان كانت اسم زوجته ، فانها لقب حمله زكي قنصل مستأثرا به بعد وفاة الشاعر اللبناني المعروف : الياس ابو شبكة .. هذا الذي اشتهر بهذا اللقب طوال حياته بين شعراء العالم العربي وادبائه .

عاطفة حب متفجرة من كل منابع الوجود الذاتي والانساني تنسحب بابعادها على لوحة رسمت بريشة حادة الضربات كثيفة الالوان لا تتعمل الاسلوب التجريدي او السريالي لتغاير ما هو داع وواقع :

لم يبق غيرك ينبوعا لالهامي   غلواء لا تضحكي من دمعي الهامي
روحي فدى ثغرك المعسول ما رقصت   الا عليه اهازيجي واحلامي
لكم ترشفت في الاوهام خمرته   وكم سكرت وكم اسكرت اوهامي
الله يشهد ما وشيت قافية   الا رأيتك تختالين قدامي
جنحت باسمك انغامي وقلت لها   طيري فصعقت الدنيا لانغامي

لزكي قنصل حظ رائع وممتاز في المشاطرة الانسانية .. تتباين انعكاسات آياتها على شعره الذي هو — كما يقول جورج صيدح — « من نوع الجوهر الغالي » . كذلك تختلف مشخصاتها بشكل مباشر او غير مباشر من قصيدة لاخرى بسبب من متطلبات الفن المرتبط عضويا بالواقع المعاش .

وخير تمثيل لهذا كله مطولته في ابنته « سعاد » .. تلك التي انسلت الى الوجود وبها يقول :

اني لاقرأ في جبينك سفر ماضي البعيد
وارى على عينيك بارقتين من حلمي الشريد
ضحكت لي الدنيا فوافرحي بمقدمك السعيد
اليوم ابعث من ضريحي، اليوم اولد من جديد

غير ان سعاد لم تتكحل عيناها بنور الدنيا بالمعنى الصحيح ، ولم تدرك من أمرها : ما فيها ومن فيها فتركتها — ولها من العمر ثمانية شهور — مأسوفا عليها الى غير عودة . وهنا السر الذي يعيي الاذهان ويهزأ بالخيالات والتصورات .. سر الحياة والموت . يقول الشاعر وكله دموع غزار :

أسعاد جئتك لا بشاشة في العيون ولا بريق
النار ملء جوانحي والشوك في عرض الطريق
دجت الحياة وشاه في عيني محياها الانيق
لا الروض زاه بعد زغلولي ولا عودي وريق
ويحي؟ أأغرق في الدموع وليس لي امل الغريق

اكبر الظن ان مطولة سعاد هذه احدى روائع زكي قنصل ، وقد قام عليها مجده الشعري الباذخ . ولا شك ان المعاني شائعة .. مطروقة ولا يمكن ان تبدو خلاقة.. جديدة الا عندما يضفي عليها الشاعر الموهوب او الكاتب الاصيل من ذاتيته واصالته ما يجعلها كذلك . ومن هنا اخالف رأي الدكتورة عزيزة مريدن التي تقول عن هذه المطولة في كتابها « القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي » : « والباحث في قصائد ديوان (سعاد) يلاحظ انها لا تخرج في معناها عن قصائد الرثاء التقليدية التي كثيرا ما رأينا انها عند الشعراء الاخرين ... » .

تستلفت نظري قصائد كثيرة لزكي قنصل في مثل هذه المعاني الانسانية الجليلة ، فقد امست السمة المميزة لانتاج معظم شعراء عصرنا وادبائه شرقا وغربا ، لانهم رأوا كوارث الحضارة المعاصرة وقاسوا ويلات الحربين العالميتين وما لاقاه ويلاقيه الانسان الضائع المنسحقة انسانيته .

امامي الان لوحة او قصيدة « صباغ او مساح الاحذية » .. الا ما أجدرها بالوقوف عندها بعض الشيء :

في وجنتيه طلاقة وتورد   وعلى اصابعه خضاب اسود
ضاقت به الدنيا فلم يحفل بها   شتان عبد في الحياة وسيد
ما هاضت البلوى جناح رجائه   او شل همته الكفاح المجهد
ابدا يدندن ثغره اغنية   تعلو على تكرارها وتجدد
ايان جاع فزاده في كيسه   نعم الرفاق لفافتان ومزود
وينام حيث تناله سنة الكرى   سيان لينه لديه وجلمد
لا يستقر به المكان كانما   في نفسه دنيا تقوم وتقعد

وتعود اعماق الشاعر كالبركان حرقة وثورة بينما تتواتر قدامه صور أولئك المنكوبين وما يتخلل معيشتهم من أسباب الضنك والعوز والنصب .. انه يقول في قصيدة اسماها « البناء » :

بنى القصور وكوخه خرب   بئست حياة كلها تعب
الشوك يزجر في مسالكها   والريح ما تنفك تضطرب
لا يزدهي في ليله قبس   الا تولت طمسه النوب
لكانه في الناس حاشية   وكانه في الاهل مغترب
الرفش والمنقار عدته   في العيش لا علم ولا نشب
بالروح في كانون نظرته   يصطك من قر ويضطرب
جمدت على المنقار راحته   فكانها من بعضها خشب

اليست تلك لمحات انسانية تخلق نوعا من تداعي الافكار والمعاني وتثير النفوس الرحيمة ..؟!

اذن وجد زكي قنصل نفسه امام حقائق مرة .. رهيبة ، وهو يقاسي تجارب عنيفة ، ويصافح عبوس الاشياء من حواليه ويرتطم متحسرا بانماط متفاوتة من الناس ، فكان تجاوبه معهم ومشاركته اهتماماتهم وهمومهم ، ولا سيما الكادحين المنافحين .. الفقراء المسحوقين منهم شيئا واضح المعالم في شعره الانساني ..

تنم على هذا كله قصائده (الشرطي .. الخباز .. العاملة .. ساعي البريد .. منضد الحروف .. بائعة الزهر .. العتال .. الفلاح .. المعلمة .. بائع السوس .. بائع الجرائد) .. وفي الاخيرة يقول مصورا حالة كادح طحنته رحى المعاناة المستديمة وامتصت غضارته متاعب الايام :

يا حاملا خبز النفوس الى الورى   لو انصفوك تسابقوا لفتاته

من زاد الطريق

اذا زرت صحبي في « فكسبرك » ... وما حولها من قرى او مغاني
تخيلت أني في موطن ... وان بنت عنه فما زال داني
وطرت بروحي فوق البحار ... وفوق الجبال وفوق المباني
الى بقعة سميت قرنة ... وكم من خبايا بتلك القراني
خبايا كنوز من الغاليات ... فخر الجنان ، وفخر اللسان
هنالك حيث الندى والذكاء ... وعزم تحدى صروف الزمان
وما شئت من خلق باهر ... وما شئت من رائعات البيان
ألا عاش قومي ولبنان عاش ... لهم وله الارز رمز الجنان

غرنفيل ــ امريكا ... نعمة حاج

وزعت نفسك بينهم متابطا ... عبئا نهضت به على علاته
طورا تحوم على الجموع وتارة ... تسعى الى الفلاح في وكناته
في كل اذن من هتافك رنة ... وصدى شجي الوقع من مطاته
كم ذا تحداك الشتاء بقره ... وبثلجه فضحكت من حملاته
شمرت عن زند يفيض صلابة ... وكشفت عن صدر زها بثباته

اما قصيدة « العملاق الاسود » فلوحة نموذجية في منتهى القوة والابداع ، لانها حصيلة تجربة انسانية صادقة .. عميقة ، صور فيها شاعرنا الزكي الخصيصة المثلى للروح الانسانية التي تجمل بها محمد علي كلاي ، بطل الملاكمة العالمي ، حين آثر المطاردة والاضطهاد على الذهاب الى الحرب .. دعه يقل ويسترسل :

مرحى لطلعتك السوداء يا بطل ... حامت عليك قلوب والتقت مقل
ثار البغاث فلم تعبأ بثورتهم ... يا ريح لن يدري بك الجبل
لله وقفتك الشماء كم كشفت ... سترا وكم صححت ما زيف الدجل
قالوا تخليت عن اهل فقلت لهم ... لا ينكر الاهل الا الارذل النغل
الله يشهد لم تأثم كما زعموا ... لكن كفرت بما قالوا وما فعلوا
كفرت بالقتل والتشريد في بلد ... تنازعت دمه الاحقاد والاسل

طويلة هي القصيدة وعلى هذا المنوال الرائع الذي كله حركة واثارة ...

وبعد ... فان الصدق في المعاناة الشعورية والباسها ثوبا طبيعيا منسجما مع توترها وعمقها يطبع قصائد زكي قنصل بطوابع خاصة ظاهرة ، والا فان هذي القصائد بات يعوزها ابعاد فنية من التساوق اللفظي والترابط المعنوي والتلاحم الموسيقي . يقول اديب فرنسي هو فكتور كوزان : « القانون المطلق للفن هو الصدق » .. ولعله يعني صدق المعاناة والتجربة ولا يمكن ان يؤدي ــ كما ارى ــ مثل هذا الصدق الا الى صدق التعبير والتصوير اي المهارة في اصطناع الاداة ..

ثمة اكثر من دليل وآية على ما سلف من توطئة ! من ذلك قصيدة زكي قنصل « بائعة الزهر » وفيها يقول :

رأيتها حيرى في زحمة الإحلام
كأنها تقرأ اسطورة الاوهام
تسير كالسكرى في موكب الايام
وترقص الزهرا بهذه الانغام

الزهر يا عشاق حي على الزهر
يزهو من الاوراق في ثوبه العطرى
هدية المشتاق للخد والنحر
وحلية الاعناق اسنى من الدر
سبحان من زانه بوشيه الزاهي
وصاغ الوانه أمنت بالله

من يشتري الريحان يموج بالعطر
مزركش الوان منمنم الثغر
اهزوجة الرحمان رفت على النهر
يرفها نيسان في موكب الزهر
سبحان من زانه بوشيه الزاهي
وصاغ الوانه امنت بالله

وليس لي بعد الذي اردت الا التوسل بما دبجه جورج صيدح في موسوعته العظيمة « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » عن هذه الرائعة بالذات : « مقاطع قصيرة كعمر الزهور والفاظ شفافة كندى الصباح ومعان ساذجة كابتسامات العذارى .. » كذلك يقول : « هذي هي القصيدة التي تمنيت ان يسمعها ابو ماضي شاعر الزهر والندى . حتى اذا تخايلت الوانها امام عينه وتراقصت انغامها في سمعه قال معي : ان زكي قنصل شاعر مبدع كبير » ...

وهل هذا كله الا تعزيز لما كان لي منه ..

بغداد ــ الاعظمية ... وحيد الدين بهاء الدين

اديب حر .. من القرن الرابع

بقلم عبد الرحمن علي

* * *

عالم بالعربية ، وفقيه ، ومؤرخ ، وشاعر ، وناثر ، وناقد بصير متذوق ، قال عنه صاحب اليتيمة : حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وانسان حدقة العلم ، ودرة تاج الادب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الاتقان والاحسان في كل ما يتعاطاه » . وقال فيه ياقوت : كان اديبا اريبا كاملا .. ومدحه الصاحب فاحسن المدح والثناء ، وعلى هذه الشاكلة كانت شخصية القاضي الجرجاني العلمية ..

والجرجاني ، هو ابو الحسن علي بن عبد العزيز المشهور بالقاضي . ولد في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ونشأ بها ، وقد كان القرن الرابع الذي عاش فيه الجرجاني قرن التمزقات السياسية ، تعددت فيه الحواضر الاسلامية ، وانقسمت الامبراطورية العباسية الى دويلات عديدة ، ولم تعد الثقافة العلمية موكولة بالحاضرة بغداد ، بل تقاسمتها الامصار البعيدة كالقاهرة والري وحلب وغزنة ، وهي بيئات اسلامية انجبت العديد من العلماء والادباء وحسبك ان ترجع الى كتاب اليتيمة لترى فضائل هذه الاقاليم في فنون الشعر والنثر ..

وفي عصر القلق السياسي هذا ينبغي ان نتعرف على امرين : « الاول : هو هذا التنافس بين الحواضر الاسلامية مما حفز العلماء والادباء لشد الرحال اليها . والثاني : ذلك الجانب المظلم من الحياة تسببه النقلات الاجتماعية الجديدة وما يصاحبها من اختلال القيم وارتباك المفاهيم وما كان الامر ليخلو من صور منكودة وكرامات مفقودة وتعديات من علية القوم لم يسلم من شرورها بعض فضلاء الادب وارباب الحرف ..

يذهب احد الباحثين الى ان هذا الضعف السياسي الذي اصاب مركز الخلافة لم ينعكس اثره على العلوم والآداب ، اذ ان تاريخ الفكر الانساني يدلنا على انه لا صلة بين القوة السياسية والانتعاش الثقافي ، فجان جاك روسو ومونتسكيو ظهرا في فترة بلغ من ضعفها السياسي ان انتهت بالثورة الفرنسية ، وروسيا القيصرية انجبت اعلامها الافذاذ في الفترة السابقة للثورة البلشفية (١) . وهذا صحيح ، ولعله يصدق ايضا على العصور المتأخرة ، وما كثرة الاعمال الموسوعية والمصنفات الادبية الكبرى في عصور الانحدار السياسي الا دالة اخرى على ان الاعمال التاليفية تحتشد حين تضطرب الحياة ويشتد ايلامها ..

لم يكن القاضي الجرجاني بمعزل عن عصره ، ولعله صورة حقيقية مجسدة لهذا العصر الغني بالمفارقات ، فقد تنقل في اكثر من حاضرة ، طالبا الدرس والعلم مرة وساعيا لتحقيق الامن واسباب الحرية مرة اخرى ، ثم عرج على الصاحب واشتد اختصاصه به وحل منه محلا بعيدا في رفعته .. وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به احوال في حياة الصاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وافضى محله الى قاضي القضاة ، فلم يعزله عنه الا موته رحمه الله (٢) .

تلك هي حياة الجرجاني في خطوطها العامة ، ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو البحث عن شخصانية الجرجاني وتحليل نفسيته في ضوء شعره الذاتي الجاد ، وموقفه الصادق من قيم عصره ، وصدوره عن نفس عالية محبة للحرية ، مترفعة عن السقطات ومنازل الهوان ، حتى استحال موقفه هذا الى لون من الوان الغربة الروحية ظل يعاني منها الى آخر ايامه .. ولا ننسى ان هذه النفس القوية العادلة انعكس اثرها على تواليفه وانتاجه ، وفي كتابه النقدي العظيم « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ما يشي بثقافته الرصينة واعتداله في الحكم على آثار المتنبي ، حيث اصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الامد في فصل الخطاب ، واعرب عن تبحره في الادب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح كما يقول الثعالبي ..

نظر الجرجاني الى احوال زمانه فهاله ان يرى تهافت الناس على اسباب النعيم وهدرهم لكراماتهم في سبيل غرض زائل ومتعة ذاهبة ، وكأن القوم لم يسمعوا قولة التوحيدي : « ما تعاظم احد على من دونه الا بقدر ما تصاغر لمن هو فوقه » ، والوصولية داء ينخر في النفوس ويذل الرجال ، وما كان الجرجاني ليعبر على افعال هذا النوع من الافراد ، لذلك انطلق بصوته الثائر معبرا عن الهموم التي تعتمل في نفسه ، وطالبا للعزلة ، فقال معللا هذا الانقباض الذي الم به ، بلهجة الانسان العزيز النفس :

يقولون لي : فيك انقباض وانما	راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهمو هان عندهم	ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا	من الذم اعتد الصيانة مغنما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد ارى	ولكن نفس الحر تحتمل الظما

١ ـ القاضي الجرجاني ، الاديب الناقد . دكتور محمود السمرة ص ٢٤ .

٢ ـ يتيمة الدهر . ج ٤ . ط ٢ تحقيق محي الدين عبد الحميد ص ٣ .

٣ ـ النثر الفني . انظر فصل ابي الحسن الجرجاني ج ٢ . طبع دار الكاتب العربي .

ولم اقض حق العلم ان كان كلما … بـدا طمـع صيرته لـي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي … لاخدم من لاقيت لكـن لاخدمـا
أأشقى بـه غرسا واجنيه ذلـة ؟ … اذا فاتباع الجهل قد كان احزمـا
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم … ولو عظمـوه في النفوس لعظمـا

لقد تحدث الاديب الراحل الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ، حديث المعجب بالقاضي الجرجاني(٣)، ولعل في حياة الرجلين من وجوه التشابه مـا يؤكد صحة هذا الحب والاعجاب ، ولم أجد اديبا معذبا حرا اقـرب الى روح الجرجاني منه ، فقد عاش هـو الآخر غريب الفكر والروح ، يعاني من ثورة النفس وقسوة الزمـان ، وان فاق صاحبه من حيث الخسران ، فانتهت حياتـه بفصل فاجع كما هو معروف .. وهذا هـو شأن الادباء الاحرار في كل زمان ومكان ، يبذلـون حشاشة النفس ، ويسرقون من وقت الاهل ، تعظيما للعلم وتعلية لمقامه ، رافضين الخضوع والتذلل :

وقالوا توصل بالخضوع الى الفتى … وما علموا ان الخضوع هـو الفقر

صدق الجرجاني ، فاذا كانت نفس الاديب من هذا الطراز فبالبعدها عن الحياة الرضية الوادعة ، وهذا هو الاختيار الصعب ، فيه شقوة واصطبار ، وتوجع وعثار :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر … فاما اصطباري فهو ممتنع وعـر
كاني الاقي كـل يـوم ينوبنـي … بذنب وما ذنبي سوى انني حر
فان لم يكن عند الزمان سوى الذي … اضيق به ذرعا فعندي له الصبر
وقالوا توصل بالخضوع الى الفتى … وما علموا ان الخضوع هو الفقـر
وبيني وبين المـال بابان حرمـا … علي الغنى : نفسي الابية والدهر

ومن احر ابياته التي يظهر فيها قوة احساسه وحبه الصادق الى مرابع الخلان ، تلك الابيات التـي يتشوق فيها الى بغداد ، وبها نحس مرارة الفقد ولهيب الحنين :

أراجعة تلـك الليالـي كعهدها … الى الوصل ام لا يرتجى لي رجوعها
وصحبة اقـوام لبست لفقدهم … ثيـاب حـداد مستجـد خديعهـا
اذا لاح لي من نحو بغداد بارق … تجافت جفوني واستطير هجوعهـا
سقى صبابتي بغداد كل غمامـة … يحاكي دمـوع المستهام هموعها
يحن اليهـا كـل قلب كانمـا … يشاد بحبـات القلوب ربوعهـا
فكل ليالي عيشها زمـن الصبا … وكل فصول الدهر فيهـا ربيعها
وما زلت طوع الحادثات تقودنـي … على حكمهـا مستكرها فاطيعهـا

يقول المفكر برديائف : «من الخطأ اعتبار العزلة نزعة انعزالية ، وانما على العكس من ذلك لا توجـد عزلة الا وكان وجود الذات الاخرى والانا الاخرى مرادفا للعالـم المجرد الموضوعي » (٤) . وعزلة الجرجاني كانت مقترنة دائما بوجود الغير ، ولم تكن عزلة مرضية حادة ، هـو موقف من مواقف الحياة الاصيلة السليمة ، مما يميـز الانسان الموهوب المتفرد ، ولعل ذلك يتضح مـن خـلال هذه الابيات التي كتبها الى اخوين له يعتذر من انقباضه عنهمـا :

ايا معهد الاحباب ذكرهم عهـدي … ودم لي وان دام البعاد على الود
ولي خلـق لا استطيع فراقـه … يفوتني حظـي ويمنعني رشدي
تفور من الاخوان من غير ريبـة … تعد جفاء والوفاء لهـم وكـدي

غذيت به طفلا فان رمت هجـره … تأبى واغرتني بـه الفة المهـد
على انني اقضي الحقوق بنيتـي … وابلغ اقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبـي وودي ومنطقـي … وابلغ في رعي الذمام لهم جهـدي
فان انتما لـم تقبلا لـي عذرة … والزمتماني فيه اكثر مـن وجدي
فقولا لطبعـي ان يزول فانـه … يرى لكما حق الموالي على العبد

فهذه العزلة اذن لها دواعيها ومصادرها الانسانية، ومن مظاهرها اشتداد وطأة الحزن على النفس وارهاقها بالكآبة التي تصيب القلوب الذكية :

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي … على نفس محـزون وقلب كئيب
تقسمني الايـام قسمة جائـر … على نضرة مـن حالها وشحـوب

هذه لمحة الـى انسانيـة القاضـي الجرجانـي ، استوقفتنا مثلما استوقفت غيرنا من الباحثين ، ولم نقف عند الجوانب الاخرى من حياته ، ولرواة الادب العـام ، ولع خاص بذكر الجانب الماجن واللاهي في حياة الادباء ، وما ارى ذلك يمنعنا من التوكيد على حياة الادباء الجادة المشرقة ، وحسبنا ان نقبس من حياة ابي الحسن ، مـا يعطينا صورة حقيقية وصامدة ، وبخاصة اننـا نعيش اليوم في مجتمعات انتقالية اصطلحت على نفوس احرارها الهموم ، وتواجدت نوائب وامتحانات لا تقـوى علـى غشيانها القلوب المترددة الخائرة ، اذ هي رحلة حضارية جديدة محفوفة بالمخاطر كما نعلم ..

البصرة — عبد الرحمن علي

٤ ـ العزلة والمجتمع . نيقولاي برديائف . الترجمة العربيـة ص ١١٧ .

قـالت

وقالت : فـؤادي أسير لديـك
فكيـف يهـون الـوداد عليـك
وذكـرى هـواي تـردد أنـي
قضيت الليالي علـى ساعديـك
فكانت حياتي .. ربيعا .. خلـودا
بـدرب مشوق علـى راحتيـك
فكيف ستنسـى هـواي الأسيـر
وكيـف يهـون الـوداد عليـك

خيوط الضيـاء بـدرب حياتـي
سقاها انسكاب السنا مـن يديـك
وكانـت رؤاي الغزيـرة وهمـا
فعادت وجـودا يتـوق اليـك
ويهفو اشتياقـا ويغلـى احتراقـا
لينساب ذوبـا الـى مقلتيـك
فكيف ستنسـى فـؤادي الأسيـر
وكيف يهـون الـوداد عليـك

القليوبية ـ مصر — رفعت محمد سلام

من الطائف الى الباحة

بقلم سليم الرافعي

***

انطلقت بنا السيارة الضخمة من مدينة « الطائف » بالسعودية متجهة الى الباحة . وكان الطريق قطعة من الطبيعة الصحراوية ــ الجبلية في آن ، ممتدا امتدادا لا يخطر بالبال ، ومتعرجا . فالارض عذراء ، رغم مرور **آلاف السنين** ، لم تألف الكثافة التي تعودناها في وادي **الفرات** ، وشرقي البحر الابيض عموما . والسكون يتزاحم في هذا الفضاء الساطع . وترى اكواما من الحجارة هنا **وهناك ، منتصبة بسوادها وضخامتها ــ كأنها بقية الدهور** المنسحقة يخيل اليك انها كائنات ممتلئة حياة وتعبيرا .

اما الشجر ، فقد اشار اليه السائق بقوله موضحا :

ــ السلم ، والسدر ، ما تريان .

اخيرا وقع البصر عليهما . شجرتان تعيشان الصحراء . وتعيشهما مخيلة الشعوب العربية في المشرق والمغرب .

شجرتان كئيبتان ، رصينتان ، متوسطتان حجما ، متالقتان شوكا ، جدير بك ان تفهمهما ، من نظرة واحدة . فلا مجال للترف هنا ، ولا مكان للهو . نعم . تنشىء الامطار المتدفقة ادواح الارز الجبارة في لبنان ، وتملأ انهار النيل والعاصي ودجلة والفرات مزارع الارز والقطن **والفاكهة بالالوان الخضراء والحمراء والبيضاء ، اما هنا فالامر مختلف لان الطبيعة نفسها جبارة ،مترامية ، لا تقبل** منافسة الشجر والزروع .

فلتنحن الاشجار ، ولتقصر ، وليتوجه الناظر الى مصدر الخلود .

احتواني افق رهيب . حدثني هامسا :

ــ ايها الكائن ! لقد الفت الاخضر المرع في وطنك ، فظمئت نفسك الى الاغبر والمجدب . تأمل جيدا ، تر انني لا اطيق ان تعبث بي المياه بسواقيها وترهاتها ، ولا احتمل المزارع بنظامها ولا الحقول بأزهارها الهشة ، انا اكبر من ذلك ، انا البحر ابتلع كل شيء ، وامتد بحرية واندفاع الى حيث اشاء ، واعيش النمط الاسطوري البهيج . على حين يتحير امثالك في اوطانهم : كيف يعيشون ، واي نمط يرتضون ، يسلبكم الغزاة ويهبونكم ، يعطونكم ويمنعونكم ، يعرفونكم وينكرونكم . فما حقيقتكم ؟

واجبت في ذهول : حقيقتنا من حقيقتك ، ايها الافق !

وسمع السائق صوتي الحالم ، وكنت قابعا الى جواره ، فنظر الي متفحصا وسأل : هل يخاطب الاستاذ احدا ؟ قلت : نعم . يسألني هذا الافق مستغربا امري ، واجيبه موضحا امري . لقد بحثت في بطون الكتب عن نسب يلحقني به ، فهداني البحث الى اني بدوي نازح ، اخالط البحر الابيض المتوسط مخالطة المستريب ، واتقي امواجه واعادي نصف شعوبه بل اني لا اعترف بتراثه الانساني والحضاري ، الا بمقدار ما **يعترف به هذا الافق الرهيب ، ثم صرخت بملء فمي : اني بدوي ورب الكعبة !**

وتأثر السائق ، فيما يبدو ، بهذه اللهجة العفوية ، فضحك ضحكة صافية وقال : تتحدثان ، انت والافق ، ونحن لا ندري . ثم اكتسى وجهه ملامح الجد ، وتابع : الحقيقة ان في الامر مغالطة . كلمة (بدوي) ليست نقيضا لكلمة لبناني او مصري . ثم نظر الي بسرعة وقال :

ثيابك مثلا ليست من تراث البادية على الاطلاق . عاداتك ايضا هي على ما اعتقد عادات الافرنج ، فانت لا تتحمل اللحية كما ارى ، **مع انها تحدد ملامح البدوي ،** ثم اننا معاشر البدو الاقحاح **نؤمن باله واحد ، وانتم** تؤمنون بآلهة المذاهب **والعقائد المتضاربة . فمن اين لكم** صفاء هذا الافق وبساطته **واعتداده بنفسه ؟**

وفجاة ، **تناهت الينا صرخة احد الركاب : الصلاة ! الصلاة !**

اوقف السائق السيارة ، **واندفع الركاب مشمرين** عن سواعدهم متأهبين للوضوء . والقيت نظرة فاحصة على المكان ، فبدا لي على الفور مسجد ريفي متواضع كأنما بني لساعته ، انساح الى جانبه خيط ماء ، لا ادري من اين جرى . والى خطوات منه قهوة ضخمة مبنية بجذوع النخل ، اتجهنا اليها بعد ان ادينا الصلاة ، فمدت لنا حصر قصيرة خشنة ، وسعى علينا خادم بيمان بصينيتين : احداهما للقهوة ، واخرى للشاي ، ثم تقدم صاحب القهوة فآنسنا بكلمات حلوة : حيا الله الرجال ، يا هلا بكم ! وفي الحال ناوله سائق سيارتنا صرة كنا احضرناها من الطائف وجمعنا فيها شرائح اللحم ورغفان الخبز وقدرا من البطاطس والطماطم والتفاح والبرتقال ، حتى السكر والشاي والصلصة !

ثم تحول سائقنا الى سيارته الضخمة ، والقى نظرة عطف عليها .. وخيل الي انه يود تقبيلها ، يا للعجب ! انه يمسحها بخرقة نظيفة وينحني تحتها بتؤدة واشفاق . قلت في نفسي : هل يعيد السائق الحديث شخصية « الحادي » القديم ؟

السائق الحديث هو فاتح الجزيرة العربية . يخترق قلبها الذي استعصى على الغزاة والفاتحين . ينصت ، طيلة سفره ، الى جهاز الراديو فتلتقط اذناه اخبار العواصم الكبرى من واشنطن حتى نيبال . فبلغ بالسيارة وبالراديو اقصى ما يطمح اليه ابن المدينة في باريس وبيروت

تذكر

★

كلانا يا أخي يجتا   ز دربا فاغرا فاه
كلانا يا أخي عار   ونحو الشمس مسراه
كلانا واضح الرؤيا   يميني ثم يمناه

تذكر يا أخي الانسا   ن أني صامت الحزن
وأني قد سلكت الدر   ب اذعانا على وهن
من الاعماق أستهدي   خرافات عن الامن
ووعدا .. لا يلبيني   يطوف العمر في ظني

تذكر انني يوما   طرقت الباب في اصرار
وان الساعد الممدو   د قد ضاقت به الاحجار
تذكر يا أخي أني   عرفت الشوق للاعصار
يلف الكون يمحو الزيـ   ـف تستخذي له الاسرار

دمشق   سلافة العامري

والقاهرة !

الاغاني والتعليقات الدينية والطبية والسياسية والادبية والتاريخية ، فكيف لا يفكر السائق ، بل كيف لا يتميز بطاقة الرأي والفكر ؟

ليست هذه صحراء . انها جزء من العالم الحديث ، ثم درت على عقبي فوقع بصري على مائدة شهية وناداني الجميع : بادر طعامك يا استاذ !

انحططنا على الركب . وشمرنا عن السواعد واخذنا نغترف من اكوام الارز واللحم ، وكان السائق يتخير شرائح اللحم الطرية فيفرقها على مؤاكليه ، ويخص الغرباء بأطايبها .

وكان الشاي ضروريا بعد هذه الوجبة الدسمة . فارتشفناه على عجل . وصعدنا الى السيارة مستجيبين لنداء السائق : هلموا .

وبعد لحظة صمت . قال السائق دون مقدمة : الحق اني لا احب هذا الراديو . فماذا تفيدنا هذه الاغاني التي تهب على اسماعنا من اذاعات البلاد العربية ؟ ثم التفت الي يخاطبني : انتم تؤلفون كتبا عظيمة في الدين وفي التراث ، ولكني لا اتمنى قراءتها . ما معنى هذه الثرثرة ؟ لست ادري ! فهل الدين موضوع يحتاج الى التأليف والتصنيف والتعليق والشرح ؟ الا ترى ـ يا استاذ ـ ان مسجدا ريفيا كالذي صلينا فيه يغني عن مئات الكتب والشروح ؟ ثم خبط بيده على مفتاح الراديو ، ليسكته ، وتدفق ـ كأنه محاضر في جامعة ـ اسمع من هذا المذياع كلمة « التراث » الوف المرات . فلماذا تعشقون التراث ولا تعشقون الدين نفسه ؟ وتتحدثون عن الحرية ولا تعرفون ان الدين هو الحرية مقرونة بالنظام . فكيف تكون هذه السيارة التي نركبها حرة ان لم تكن خاضعة لنظامها ؟ لقد اشتريناها من مصنع غربي ولكنا نسخرها لقضاء رحلاتنا ، فما معنى كونك بدويا يا استاذ ؟

ضايقني هذا السؤال المحرج ، ولكني ادركت ان الرجل يبني محاورة عقائدية فذة ، ويريد ان يسخر بعرب البحر الابيض ، الذين لا يقودون حضارة الغرب وفق مشيئتهم ، ويكتفون بالكتابة عن امجاد الماضين .

وحانت مني نظرة الى الطريق فرأيت ابدع منظر في جزيرة العرب ، حقا ، انها عبقرية الطبيعة المفارقة ، وشعرت بالارتياح لانني تخلصت من حوار السائق ولكنه فهم اني مشغول بالطبيعة عن كل شيء فاخذ يردد اسماء القرى : ـ هذه « الجادية » هذه « زهران » هذه «رغدان» واخيرا هذه (الباحة) ، انها قمم مكسوة باشجار اللوز . ولما رآني مستغرقا في تأمل الرواء الاخضر والهضاب الشجراء ، هزني بقوة وقال :

ـ ماذا تظن يا استاذ لبنان ؟ ان لبنان كله مأخوذ من « الباحة » .

طرابلس ـ لبنان   سليم الرافعي

ارواح الاماني

تفازل قلبــي امنيات سعيــدة ... يرف بها مثـل الطيور ويخفــق
منـى مستحيلات ولكن همسهــا ... بنفسي يوحي أنهــا تتحقــق
أراها بعين الوهــم ذات نضارة ... تفوح بانفـاس الجنـان وتعبـق
واستاف منها كالزهور روائحـا ... لهــا أرج يهتاج مــن يتنشق
تزيد وضوحا حين تصفو خواطري ... وتسطع كالمــرآة نفسي وتشرق
اذا جئت روضا او نزلت خميلـة ... تخيلتهــا رفافــة تتالــق
ويطرب سمعي كالبلابـل شدوها ... وتثمر في مرأى الفـؤاد وتونـق
منى مستحيلات أصيـخ لصوتها ... فيشكرني منــه سلاف معتـق
أكاتمها كالسر بــين جوانحــي ... وأحنو عليها ما استطعت وارفق
وأغرسها في روض نفسي بـذرة ... فتنمو بأحنـاء الضلوع وتغـدق
تعهدتها بالــري جهدي وانمـا ... دمي جدول مــن دونها يترقرق
فيالفصون في الضلــوع وريقة ... ويا لدم يروي الغصون فتـورق
أحاذر غــيري ان يلـم بسرها ... فيعتدني أهـذي جنونا واحمـق
جنحت اليها من صميم مشاعري ... وان عزني رأي سديـد ومنطـق
تفيء علي الامـن والبشر والرضا ... فيرتاح ذهــن بالفجاءات مقلـق
والا ففي دنيــا الحقيقة صادم ... لذي حلم يصحو صباحا فيصعق
عهدت الاماني عند غيري من الورى ... سرابا به تصدى حشاه وتحـرق
فمـا لسرابي تستحيل مدامـة ... بها يصبح النشوان سكرا ويعبق
لأي مطـار يرتقي الوهم صاعدا ... الى حيث لا يسمو جناح محلـق
اذا أبدع الرسام في الطرس مشهدا ... من الغيد يزهو حسنهن ويبـرق
تراهن في القرطاس نبض ملامـح ... وفور دم طــي الصبا يتدفـق
وتسمع همس العين للعين بالمنى ... فتلهم تأويــلا يــدق ويعمـق
فلم لم يشد وهم الاديب معاقـلا ... تتيح اليــه الامن ساعة يفـرق
أخا العاطفيين انطلق وفق ما ترى ... فان قيــود المنطقيين ترهــق
يعيشون في دنيـا الوقار حجارة ... من الصم لا تشكـو ولا تتشوق
وأنت فــؤاد بالاساطير حالــم ... تفاديه أطياف الجمـال فيخفـق
لــه عالــم يرتاده بشعوره ... موشى بفــن الملهمين منمــق
فيذهل عن دنيا الأنام الــى التي ... يضاحكه منهـا بهــاء ورونـق
اذا ما تمنى فالمحال على مــدى ... يشير اليه مــن قريب فيلحـق
فيدنو اليه الجاه والمـال والهوى ... مواكب تهتـاج الحليم فينـزق
الا تلــك ارواح الاماني تقمصت ... شخوصا بمرأى العين تسنى وتألق

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

وجه الصعيد في القصة المصرية

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

شجية هي حكايا الصعيد المصري ، ومثيرة هي قصصه واشجانه .. اكبر من ان يتناولها كاتب او يلم بها اديب ، لانها الزمان : الاصل والصورة في آن واحد .. الحلم والواقع .. الالم والامل .. لذا فمن الصعب علينا ان نحكي عنها او نرويها . لماذا ؟ لان الصعيد المصري ما زال بؤرة العراقة العربية وما زال كذلك منطقة التخلف الحضاري العنيد .. ومن ثم فان المرء يحتار عندما يرصد هذا الواقع المتناقض ، ويأسى لما يحويه !

فالصعيد المصري بحكم موقعه ـ خاصة في اسوان وقنا ـ ما زال يحافظ على الاصالة العربية ، وما زالت تجري العروبة صافية في اعماقه بكل ملامحها الانسانية ومعالمها الاخلاقية النبيلة .. ولا عجب اذا رأيت هنالك تضامنا وتآخيا وحبا وعطفا وكرما وسموا في العلاقات واحتراما للكلمة وقداسة للفظة ..

وقد أتاح العمق الجغرافي للصعيد المصري ان يصمد في وجه الغزاة المتتابعين ، وان تنمو فيه قيم العروبة الخالدة والسماحة الاسلامية الخالصة .. فلم تؤثر فيه عوامل التغيير الخارجي والطارىء بمثل السرعة التي اثرت في منطقة الوجه البحري خاصة مدنه الساحلية .

بيد ان هذه الميزة التي ظفر بها الصعيد المصري تكاد تذهب بعيدا عن مرمى البصر اذا نظر المرء الى طبيعة بعض العلاقات الاجتماعية والعادات المتجذرة في اعماق الصعايدة .. ونستطيع بالتأكيد ان نرى خلال نظرتنا بقعا سوداء وبصمات اشد سوادا تجعل نفس الانسان تذهب حسرات على هذا الذي يجري هنالك مثل : الثأر ، ووأد المرأة لاقل شبهة تدور حولها ، ونظرة الشك والريبة لما تقدمه الحضارة الحديثة .. حتى لو كان خيرا عميما .. فضلا عن التخلف العلمي الذي يشترك فيه ابناء الوطن جميعا ..

ورغم هذا فان الواقع يتغير . ويتغير لصالح الزمن القادم ، وان لم يكن بالسرعة المطلوبة فانه تقدم لايستطيع المرء ان ينكره او يتجاهله .

واذا سألنا انفسنا : ماذا قدم الادب العربي في مصر تعبيرا عن هذا الواقع الصعيدي ونتائجه ؟ فاننا لا نجد نتاجا ادبيا يتكافأ مع عمق هذا الواقع وابعاده المختلفة . ربما لان ذلك يرتبط بمسيرة الادب العربي عامة وتخلفه عن معالجة كافة القضايا الملحة بالابداع المطلوب او المفروض . وايضا فاننا لا نستطيع مع هذا التناول السريع ان نجيب اجابة كاملة ودقيقة لسؤال تشمل الاجابة عليه واقعا اكبر من كل سؤال وكل جواب .

وعندما نطالع ما كتبه الاديب « عبد العال الحمامصي » عن الواقع الصعيدي ، فسوف نرى نوعا من المعالجة الجيدة يفرض علينا ان نقف امامها بالاحترام ونتمنى لها مزيدا من الجودة والعمق والتوفيق . فهو يمثل حياة الصعيدي المتعددة الانماط ، والمختلفة الاغراض ، المتباينة الدوافع ، فيمكننا ان نرى الفتى الصعيدي الذي هاجر من الصعيد الى المدينة ليطلب العلم وربما المجد والشهرة ، ولكنه يصاب بالخيبة لما يجري مخالفا احلامه وتطلعاته . ونستطيع ان نطالع جبين الفتاة التي قتلت ظلما نتيجة وقوعها في غرام بريء مع واحد من الشباب . كما يتيح لنا فرصة المعايشة لواقع المدينة التي مات قلبها ، وتناقض الحياة فيها مع واقع الريف الطيب المليء بالبساطة والمشاعر الانسانية الفياضة تجري في عروق بنيه .

وخلال الدائرة المرتبطة بالواقع الصعيدي يبث عبد العال الحمامصي همومه واشواقه مفعمة بمحاولات طموحة يتجاوز بها الحياة الآسنة ليصل الى الضفة الاخرى .. ضفة الصراع والحركة والحيوية ، وان كانت هذه الضفة تعني في الزمن القديم : الموت والصمت والخلود الساكن !.

واشد محنة يصطدم بها الصعيدي المفعم بالبراءة والرجولة والشهامة والاخلاص الى حد السذاجة هي محنة القسوة التي يخالطها في المدينة . وهي محنة من طراز فريد تكاد تنسحب على العالم المتمدين جميعه اذ اصبح الناس يعنون بذواتهم فقط ، لا يهتم احد بآخر ، ولا يسأل انسان عن انسان ، وكل العلاقات اصبحت نفعية صرفية قوامها المادة الصماء . افرغت هذه العلاقات من كل القيم والعواطف والاريحية الروحية . لقد اصبحت المدينة ميتة .. بلا قلب .. اضحت ميتة الحس والوجدان . هنالك جثة في الطريق ولكن واحدا من الواقفين يبخل بورق صحيفته لتغطية هذه الجثة ، وتظل بلا غطاء ؟ « بعد الاسابيع التي قضيتها في هذه المدينة لن استغرب اي تصرف يحدث فيها . رأيت بعيني رجلا رفض ان يتخلى عن صحيفته لتغطى بها عورة جثة » (ص ٤٢ من مجموعة للكتاكيت اجنحة) .

ان مجتمع المدينة تخلى في مجموعه العام عن الشهامة والنخوة التي الفها في وطنه الاول .. في الريف الصعيدي بقراه ونجوعه التي يشعر فيها المرء بالتلاقي والاحساس الواحد والشعور المشترك في اطار الالفة والبساطة والعفوية . كانه قدر لا مفر منه يقابله ما يحدث

في المدينة اللاهية والمزدحمة والمختنقة .

«كيف استطيع تدبير احتياجاتي في مدينة مسعورة. كالبغي لا تتعامل ابدا بقلبها . كيف تكفيني الجنيهات التي اتقاضاها شهريا من صاحب المجلة لتغطية نفقاتي من طعام ولباس وكتب وسكن ودخان » ص ١١٥ .

وقد تكون هذه المشكلة ذات اتصال شخصي بحياة الكاتب الخاصة حتى انه يكرر اكثر من مرة الحديث عن فشله وخيبة امله في القاهرة التي مات قلبها « خدعت في القاهرة . خاب املي . انها مدينة مات قلبها » ص ٣٩ . وفي موضع آخر يقول « ماذا افعل الآن في مدينة مات قلبها . عشرة جنيهات كيف اواجه الحياة بها » ص ١١٧

بيد اننا ازاء هذا القرف الذي يشعر به الكاتب تجاه القاهرة لا نملك الا ان نستشف من وراء ذلك رغبة ما .. رغبة أصيلة في العودة الى النبع الصافي الذي اغترف منه في صباه عندما كان طفلا وصبيا يعيش في قلب الصعيد الجواني . وهي رغبة تشبه الحلم بالمدينة الفاضلة التي لم تتحقق حتى الآن ، ويبدو انها لن تتحقق ابدا ! ومع ذلك فان صوت الكاتب لم يضع عبثا عبرة كلماته ، لانه بالضرورة عبر عن شوق جماعي للصفاء الخالص والتلقائية والفرار من سطوة القهر الاعمى !

ان الزيف الذي يغلف حياة المدينة الكبيرة يحتم على الانسان ان يقوم بالمواجهة .. ليس فقط مجرد التأفف والتمني بالخلاص . بل بالتعبير والكشف والمعالجة الواعية . ان التناقض بين الحياة لعطائها الاصيل والفطري وبين الحياة المدهونة والمزوقة لا بد ان يخلق نوعا من الانفصام او شرخا من النفس الانسانية التي تنتقل من الصورة الاولى الى الصورة الثانية فتفجؤها تلك بغم عظيم ! وهذا الانفصام او ذلك الشرخ قد لا يلتئم او يصح ابدا ، وعندئذ يتحدد مصير مخلوق بشري بالضياع ، وان كان يحمل في اعماقه نزوعا الى المشاركة والعطاء فوق ارضه وبين اهليه . ولعل الحمامصي قد استطاع تصوير ذلك تصويرا كاملا او اقترب منه في معظم قصصه القصيرة التي ضمها مجموعته الاولى « للكتاكيت اجنحة » . ويستطيع القارىء ان يدرك عمق هذه القضية لو قرأ قصة « التذكرة » او « العاملة » او « الطريق الآخر » او « العجوز وشجرة التوت » او « الفتى الذي جاء متأخرا » ..

وفي معالجته لقضية التناقض هذه لا يملك الكاتب الا ان يسوح مع احزانه مفضفضا عنها ومطلقا لنفسه العنان .. والحزن ـ لست ادري ـ مأساة جيلنا والجيل الذي سبقنا ، ينهمر على كل الاشياء في جميع المواسم والفصول دون انذار او مقدمات ! ولا شك ان القارىء سوف يلمح على كل سمة من سمات الشخصيات الصعيدية ظلا من الحزن يتناسب مع حرارة الموقف وظرفي الزمان والمكان .

وعلى جانب آخر من جوانب المعايشة للواقع الراهن يمتطي الكاتب صهوة قلمه ، ويرصد معالم الزمان الايجابية ، ويجسد المقاومة التي توشك ان تكون رومانسية الفكر والسلوك كما في « الطريق الآخر » و « الصعايدة » و « للكتاكيت اجنحة » و « اشياء هو لا يدركها » ...

وثمة قضية ازلية في الصعيد المصري ، وهي علاقة المجتمع بسلوك المراة .. وهي قضية تناولتها التمثيليات الاذاعية بكثرة ملحوظة ، وعولجت معالجات شتى . بيد ان مجال تناولها في القصة القصيرة كان ضئيلا للغاية . ولم ينس الحمامصي ان يركز على هذه القضية التي تلح عليه بشكل ما . وقد عبر عنها في قصة « المحاكمة » مدينا هذا الواقع الذي ما زال يقيد سلوك المراة ويغلفه في اطار الحكم عليه ظاهريا .. بيد أننا نستشعر مفارقة في هذه القصة . فالفتاة القتيلة شقيقة البطل القاتل (!!) وقد اباح لها اهلها حظا من التعليم (!) فرغم الاعتراف بحقها في التعليم ـ وهو اعتراف ضمني بحرية معينة ـ الا ان حق الممارسة لهذه الحرية محكوم برغبة الآخرين مهما كانت هذه الرغبة صالحة او سيئة !

تبقى قضية الصياغة الفنية والتعبير ادبيا عن وجه الصعيد المصري .. فهل استطاع عبد العال الحمامصي ان يعطينا شيئا يؤثر بالعمق في وجداننا وكياننا . ام انه قرأ علينا تقريرا وصفيا لظاهرة معينة ؟ الحق ان عبد العال الحمامصي قد تمرس بكتابة القصة منذ زمان . وكتب كثيرا ولم ينشر الا قليلا ، وتابع في نفس الوقت مسيرته على طريق التطور الفني . واذكر انه كان في اوائل الستينيات واحدا من الزملاء الذين كانوا يشكلون الطلائع الخضراء في فترة قحط كانت موقوفة على الاسماء المعروفة منذ الاربعينيات . وقد اصبحت هذه الطلائع في زمننا ـ بعد ذبول معظمها ـ تشكل عماد الحركة القصصية في مصر على اختلاف في المنهج والتكوين .

ولا احسبني عند قراءة قصصه القصيرة والتي عكس عليها وجه الصعيد المصري الا معترفا به كفنان ذي احساس مرهف ويملك رؤية مستمدة من هويتنا الذاتية. وقد لاحظت ان هناك تلازما معينا بين الرؤية والتعبير ، والفكر والاسلوب .. فعندما يتناول بعض القضايا العامة يرهف احساسه ويرق شعوره ويتسامى فنيا لينتج لنا قصصا جيدة الفكرة والاداء . ولعل ذلك يتضح في قصتين هما « التذكرة » و « الطريق الآخر » وهما من انضج القصص التي كتبها الحمامصي على الاطلاق .

اما ما عدا ذلك فاننا نراه يقع في التقرير الوصفي والسرد المباشر والوضوح الجهير وكلها تفسد العمل الفني ، وتشكل عبئا كبيرا على الاداء الفني ، والتركيب

هجـران

★

وهجرتني .. انا لا الـح والحف — سلم الهوى ، فهو الظلوم المنصف
يشكو النوى، وهو المعذب بالنوى — في الصدر، هذا الناسك المتصوف
وتركته نهـب الحنين ، فكيف لا — يشكو الحنين ، وكيف لا يتلهف
يرجو ويأمـل ، وهـو في آمالـه — ورجائه ، النهم الهلـوع المسرف
الحب فيه ـ علـى غرارة حبـه — وجنونه ـ حلو الشمائل ، مترف
ويمل فلسفـة اللسان ، لانـــه — كالطفل يحلم ، وهـو لا يتفلسف
وعلى براءته .. فمـا هـو غادر — وعلـى طبيعته .. فـلا يتكلف
اتراه ينكر ساعدي ، وقد هوى — وغفا علـى زنـدي هذا الاهيف
وانا الذي هفهفتـه ، ومنحتـه — حبي واغنيتي ، فقيل : مهفهف

اما النجوم ـ ولي علـى اضوائها — ثغـر يعطره اللقـاء ومرشف
عرفت هواي ، فما هنالك مشرق — منها ـ ولو جهل الورى ـ لا يعرف
وعلـى غلالات الربيـع مقطـر — مما يجود بـه الشذى ، ومقطف
فسلـي هنالـك اي قلب هـزه — حب يزغـرد للجمـال ، ويهتف
وسلي اريـج الياسمين ، فانـه — شعـر يترجمني ، وحس مرهف

أنا يا هواي ـ ولا الح ـ مشاعر — سكرى ، وقلب بالصبابـة يرعف
يتبطن الحب الصحيح، فلاجني — يومـا عليـه مـزور ومحرف
ان الـدم العربـي في يمدنـي — بالمغنيـات ، فكيـف لا اتعفـف
وصلابة الصحراء شيء في دمـي — يحيـا ، وسـر بالابـاء مغلف
فاذا هجرت فان لـي لقيا علـى — اخلاقهـا شرفـا تعـن وتسعف

طرطوس ـ سورية — احمد علي حسن

القصصي .. ويظهر ذلك جليا في « لحظـة فـرح » و « امرأة من بورسعيد » .

ورغم ان معظم القصص التي كتبها الحمامصي قد صيغت باسلوب كلاسيكي ذي هندسة دقيقة ، وحبكة محكمة ، الا انه دخل ميدان التجديد بقصته « قابيل يخنق القمر » ليحاول اضفاء بعض الظلال الحديثة في البناء القصصي . ولكنني لم استطع التفاعل معها ذلك انني ارى الحداثة او المعاصرة لها اصول لا بد ان ترتكز عليها وتستخدم هذه الاصول بمهارة تدفع القارىء لمزيد من المتعة والمتابعة والاستبطان للواقع المحسوس ، وتعطيه ايضا مزيدا من الانطلاق النفسي والروحي .

لقد اثارت قصص الحمامصي قضية تحتاج الـى استلهام ومعالجة ودراسة ، لغنائها بالكثير مـن الصور والمعاني ولالتصاقها بواقعنا وتأثيرها في مستقبلنا ..

ان الصعيد المصري يمثل عينة من الصعيد العربي والريف العربي والبادية العربية .. وكلها تحتاج الـى هزة عنيفة بالفكر تنقله من الزمن القديم المظلم الى روح العصر والاوان .. وعلى ادبنـا العربي تتوقف المسيرة للخلف او للامام .

مصر ـ مرقص بحيرة — حلمي محمد القاعود

كان

واقفا في ذلك المكان ، منتظرا حبيبة قلبه . ذات صباح مبكر ، بالرغم من سقوط قطرات من الرذاذ ، والوقت ربيع . لكن ذلك الصباح يختلف عن كل صباح ، لانه يذكره ، بتلك اللحظات التي لا تنسى عندما يصاب بصاعقة يسمونها الحب .. احيانا . لقد مرت الايام سراعا ، لكن ذلك الصباح ، وذلك اليوم .. تعاهدا على ان يلتقيا فيه ، ليسترجعا معا اجمل لحظات قلبيهما .. حين تلاقت خفقاتهما في لحن واحد .. سحري . بعيدا عن كل واقع محسوس . ولمح وجهها من بين عشرات الوجوه ، والاجساد . وتلاقت نظراتهما الفرحة ، وغابت يدها الناعمة في حضن كفه الدافىء . وسارا بعيدا عن المكان .. وقال لها :

ـ صباح الخير ..

ـ صباح الخير ..

ـ كيف امضيت الامس ..

ـ في الم .

ـ لماذا ؟ تركتك .. وكنت السعادة بعينها .. ليتني لا اتركك لحظة .

ـ كيف !

ـ ماذا حدث !

ـ وجدت الاولاد يبكون ..

ـ لماذا ؟

ـ لانني تأخرت قليلا .. فكرت .. الا نلتقي معا .

ـ هكذا ..

ـ لا تنظر الي .. ارجوك .. لا احتمل .. كفى ما مر بي بالامس مع الاولاد .

ـ كفى ما مر بك انت من ايام .. بل من سنين ضائعة .. الى ان ولدت من جديد ..

ـ كيف احتمل ؟ انني متضايقة ؟

ـ لن تتضايقي وانت معي .. وخاصة في هذا اليوم بالذات .. سنذهب الى حديقتنا .

ـ لن اذهب .

ـ لماذا ؟

ـ يكفي ان أراك ..

ـ كما يرى غريبان احدهما الآخر ..

ـ السماء تمطر ..

ـ رذاذ الربيع .. ليس مطرا .. انه يغسل من نفوسنا .. آلام الشتاء ..

ـ لقد فكرت .. ورأيت ان نبتعد ولو قليلا .. انني متضايقة..

ـ من الاولاد .. لكنني تركتك بالامس فقط وانت سعيدة .. وانت تطيرين من فوق الارض .. كأنك تسيرين فوق القمر .. لا يمكن ان


لقاء تحت امطار الربيع

بقلم فتحي الابياري

اتصور انني اسير بجوارك الآن ..

ـ قلت لك .. لا تنظر الي هذه النظرات .. لا أكاد احتمل ..

ـ ماذا يريدون .. اكثر من هذا .. كنت محروما منك اسبوعا .. لم ارك فيه . وعندما اجدك .. افقدك هكذا .

ـ لم تفقدني .. ولن تفقدني .

ـ قلبي يعرف هذا .. لانك تحاولين ان تقتلي قلبك .. وهذا مستحيل ..



ـ ارجوك !!

ـ واعرف انك تحاولين اكثر من مرة .. ان تحبيني .. او تحبي نفسك .. من لحظة سعادة .. هل يوجد من تدعو الله مثلك .. ان تكره حبيبها بمثل ما تحبه من حب كبير ..

ـ لا تعذبني اكثر مما انا فيه ..

ـ لماذا تعكرين صفو تلك الذكرى في هذه اللحظة بالذات .. انت لست انت .. كنت بالامس فقط.. تهبينني انقى لمسات الحب .. الصافي كانت ذراعاك تحوطني .. كأنك تخشين ان اختفي .. وكانت اصابعي تتسلل بين خصلات شعرك وتلتقي روحانا .. في قبلة خاطفة ونحن نسير بين الورود ..

ـ ارجوك .. لا تجعلني أتراجع فيما قررته ..

ـ من الذي سمح لك بأن تقرري؟! اشياء كثيرة عشت محروما منها .. وما زلت . لقد تعودت على الحرمان .. منذ ايام طفولتي .. ولم اتعود ان ..

ـ لا احتمل ان اسمع ..

ـ سأسكت .. وابتلع حرماني.. ولكنني لا اريد ان اراك متضايقة .. ولست انا السبب .

ـ كيف !

ـ لانني لا اضايقك !

ـ ولكنك لا تخاف علي .. من عيون الآخرين .

ـ عدنا الى عيون الآخرين .. سحقا لهذه العيون .. لانني لن اعيش مليون سنة .. لكنني لا اهتم بها .. فقط اهتم .. بك .. واخاف عليك .. لا كما تتوهمين .

ـ اذن .. فلنبتعد ..

ـ لانك جبانة .. وتفكرين بعقلك .. الذي لا يحب .. الا المنفعة .

ـ ماذا تقول ؟

ـ كلام كالنار .. لاحرق عقلك الذي سجنك طوال عمرك ..

تشريد

يا عذبة الصوت يا دفء الاناشيد … انـا المتيم بالقيثار والعـود
لحن الرباب وآهات المنى سحرت … علـى لماك واحلام العناقيد
والناي انت واوتار بكت نغما … والزهر في خفر يختال كالغيد
غنيت حبي فوجه الليل في الق … والطير زغرد والايام في عيد
والزهر لما تراءت مقلتاك سنى … قتلن ما بين تشريد وتسهيد
لكن قلبي ملتاع وبي حرق … يلفني الشوق في اعطافك الصيد
الا اخاف على قلبي متيمتي … نفذت في اثنين كسار وجلمود
كفى الرنين ويا انغامها احترقي … اما كفاك سهام الانجل السود
انا غريب بنى في البحر دارته … فالريح لا سكن والموج في جود
تخالني ساريات السفن في جذل … ويقتل الوجد مني سر تفريدي
ظمآن للمطلق المجهول في لهف … امشي الدروب صدى ظل الاناشيد
يظلني قمر في داره درر … كالحلم يغفو على اغفائه الجيد
ويسرق الموج مني سر رعشته … وتخطف الريح آهاتي وتنهيدي
اشدو الهوى نغما في ظل قافيتي … ويرقد الليل في احضان تشريدي
اصادق القمر الراني على أفق … واقطن الضوء في احلى المواعيد
اطوف في جزر الاحلام من وله … ويخلق الحب مني سر تمجيدي
تؤمني نحلات الزهر من عبق … وكل طير هفا شاد وغريد
وكل فرعاء ما ارخت جدائلها … الا سرت في محياها اغاريدي
حتى الزنابق لما ضج عاطرها … صاغت محاسنها زهرا على عودي
والبحر لما زها في مده عكست … امواجه في فم الملاح ترديدي
حبيبتي طلفت روحي مدى جسدي … ردي الحياة اعيدي اليوم تشييدي

محمد توفيق صادق

— كفى !!

— شكرا .. شكرا .. يكفيني..

ان قلبك الدافىء .. جعلني املك الدنيا .. لحظات .. وجعلك تحسين بالوجود ..

— يكفيني ان اراك فقط .. ولو من بعيد ..

— انني حزين من اجلك .. لان قلبك .. سينزف دما .. وستعودين الى حياة الثلوج .. في عز الصيف .. لكن سينتصر قلبك في النهاية .. مهما فعلت !

وافترقا بالصمت .. وحاولت هي ان تستنجد بساقيها لتختبىء في زحام الناس ، بينما وقف هو .. رافعا ناظريه الى السماء .. مسترجعا صورة ذلك الجبل الشاهق الارتفاع الذي وقف عليه ذات لحظة .. في ذات يوم .. في مكان ما وكانت هي معه .. وكانا معا بعيدا عن كل عيون .. يرتشفان احلى ثمار الربيع .. الحب .

القاهرة — فتحي الابياري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

نحاتة

ويقولون : نحاتة (بكسر النون) الحجر او الخشب . والصواب نحاتة (بضم النون) الحجر او الخشب .

وتطلق النحاتة (بضم النون) على البرادة (بضم الباء) ، وهي ما سقط من المبرد . وهذا الاطلاق مجازي . اما النحاتة (بكسر النون المضعفة) فهي حرفة النحات .

نخر السوس الخشب

ويقولون : نخر (بفتح الخاء) السوس الخشب . والصواب : نخر (بكسر الخاء) ينخر (بفتح الخاء) نخرا (بفتح ففتح) ، فهو ناخر ونخر (بفتح فكسر) ، وهو من المجاز .

ويأتي الفعل نخر (بفتح الخاء) متعديا حين نقول : نخر الحالب الناقة ، اي : ادخل يده في منخرها ودلكه لتدر ، والناقة : نخور (بفتح النون) .

واذا جاء الفعل نخر (بفتح الخاء لازما) ، فانه يعني : مد الصوت من خياشيمه وصوت (بتضعيف الواو) .

العطاء النذر

ويقولون : هذا عطاء نذر (بفتح فسكون) ، أي : قليل تافه . والصواب : هذا عطاء نزر (بفتح النون وتسكين الزاي) . وفعله : نزر (بفتح فضم) الشيء ينزر (بضم الزاي) نزرا (بفتح فسكون) ونزارة (بفتح النون) ونزورة (بضم النون) ونزارا (بفتح النون).

اما النذر (بفتح النون المضعفة وتسكين الذال) ، فهو : ما يقدمه المرء لربه ، او يوجبه على نفسه من صدقة او عبادة او نحوهما . وجمعه : نذور . وفعله : نذر (بفتح الذال) ينذر (بكسرها) وينذر (بضمها) نذرا (بفتح فسكون) ونذورا (بضم النون) . والنذيرة (بفتح فكسر) هي : ما يعطيه .

أصيب بنزيف

ويقولون : أصيب فلان بنزيف من أنفه . والصواب : أصيب بنزف (بفتح فسكون) من أنفه ، لان النزيف هو : الذي سال منه دم كثير حتى ضعف . ونقول : نزف (بفتح الزاي) الدم فلانا نزفا ، فهو نزيف او منزوف .

ومن معاني النزيف :

١ ـ المحموم .

٢ ـ السكران .

٣ ـ من عطش حتى يبست عروقه ، وجف لسانه .

اما النزف من الانف فهو : رعاف (بضم الراء) ورعف (بفتح فسكون) ورعف (بفتح ففتح) وهي من المجاز . وفعله : رعف (بفتح ففتح) ورعف (بفتح فضم) كما في الصحاح والمصباح والتاج واللسان (وقد انكره الازهري والاصمعي) ورعف (بضم فكسر) وقد أنكره الازهري .

ولكن المعجم الوسيط يقول ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قال ان من معاني (النزيف) : خروج الدم غزيرا من الانف او الفم او نحوهما لعلة او جرح .

تنازل عن حقه

ويقولون : تنازل فلان عن حقه لجاره . والصواب : نزل له عن حقه . وقد جاء في التاج : نزل عن الامر : اذا تركه ، كأنه كان مستوليا عليه مستعليا ، وهو مجاز .

أما (تنازلوا) فمن معانيه :

١ ـ تطاعموا عند هذا مرة ، وعند ذاك أخرى .

٢ ـ نزلوا عن ابلهم الى خيلهم فتضاربوا في الحرب .

وكل فعل على وزن (تفاعل) يحمل معنى المشاركة بين اثنين او اكثر . وهنا لم ينزل عن حقه الا شخص واحد .

ونشتق (تفاعل) للواحد احيانا ، اذا دل ذلك الاشتقاق على الكذب : مثل : تعامى : اذا تظاهر بالعمى ، وتصام : ارى من نفسه أنه أصم ، مع انه يسمع ، وتماوت : أرى أنه ميت وهو حي . والتنازل عن الحق لا يمكن ان يتظاهر به المرء ، ويضمر عدم التنازل .

المتنزه ، المنتزه

ويقولون : منتزه (بضم فسكون ففتح ففتح) . والصواب : متنزه (بضم ففتح ففتح فزاي مضعفة مفتوحة) ، لان الفعل هو : تنزه (بفتح الاحرف كلها مع تضعيف الزاي) ، وليس انتزه (على وزن افتعل) .

ويخطىء آخرون فيسمون المتنزه منتزها (بفتح فسكون فتح) ، كما فعل ابراهيم طوقان في قصيدته « كارثة نابلس » :

كان جرزيم منتزهـا ، والغواني   في ظلال منه ، وماء زلال

وجرزيم هو احد جبلي مدينة نابلس .

عرق النسا

ويقولون : أصيب بالتهاب في عرق النسا (بكسر النون) . والصواب: أصيب بالتهاب في عرق النسا (بفتح النون) . وهو عرق (عصب) غليظ يمتد من الورك الى الكعب . مثناه : نسوان ونسيان (بفتح

النون والسين فيهما) . وجمعه : أنساء (بفتح فسكون) .
ولا يقتصر التهاب هذا العصب على النساء وحدهن ، بل يلتهب في كلا الرجال والنساء على حد سواء .
ويكتب المصباح (النسى) بالالف المقصورة . وقال الاصمعي : هو النسا (بفتح النون المضعفة) ، ولا تقل : عرق النسا ، ولكن ابن السكيت أجاز ذلك .

نسائي

ويقولون في النسبة الى نساء : نسائي كالجمعيات النسائية المنتشرة في العالم العربي . والصواب : نسوي (بكسر فسكون فكسر) . وهذا هو قول سيبويه اورده التاج واللسان .
وتجمع المراة ايضا على : نسوة (بكسر فسكون) ، ونسوة (بضم فسكون) ، وكسر النون أفصح كما يرى المصباح ، ونسوان (بكسر فسكون) ، ونسوان (بضم فسكون) ، ونسون (بكسر فضم).
ويقول بعضهم : ان النساء هي جمع : نسوة . ويصغر على نسية (بضم ففتح فتضعيف) ، ونسيات (بضم ففتح فتضعيف) . والثاني : تصغير للجمع .

نسبة لـه او بالنسبة لـه

ويقولون : نسبة له ، وبالنسبة لكذا . والصواب : نسبة اليه ، وبالنسبة الى كذا . أي : بالنظر اليه والقياس اليه .
اما المجاز الذي جاء في الاساس والتاج واللسان : جلست اليه فنسبني ، فانتسبت له ، فان (نسبني) هنا معناه : سالني ان انتسب . (وانتسبت له) هنا معناه : أظهرت نسبي لمن سالني عنه ، وذكرته .
ولم أجد (اللام) بعد الفعلين (نسب وانتسب) ، او بعد المصدر (النسبة) في التاج ، واللسان ، والاساس ، والمصباح ، والمحيط ، ومتن اللغة ، والصحاح ، واقرب الموارد .
وجاء في فهرس شذور الذهب لابن هشام الانصاري لشارحه محمد محيي الدين عبد الحميد ما ياتي :
١ ــ الافعال بالنسبة للمفعول به .
٢ ــ الاعداد بالنسبة للتذكير والتانيث .
٣ ــ الاعداد بالنسبة للتمييز .
وجاء في النحو الوافي في الفهرس المفصل للمجلد الرابع :
١ ــ والنسب للمثنى .
اما في بقية الفهرس ، وفي المتن والهامش ، فقد جاء الفعل (نسب) وكلمة (النسبة) متبوعين بحرف الجر (الى) ، كما ظهر ذلك في كتب النحو الاخرى .
فاما ان يكون وضع اللام هفوة غير مقصودة ، واما ان يكون شارح الشذور ، ومؤلف النحو الوافي ، قد عملا برأي صاحبي لسان العرب والصحاح ، عندما قالا : حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى . وانا لا ارى باسا ان نقول : نسب له كما نقول: نسب اليه .

منسوب الماء

ويقولون : بلغ منسوب ماء النيل كذا مترا . والصواب : بلغ مستوى ماء النيل كذا مترا . اما المنسوب فهو :
١ ــ ذو الحسب والنسب .
٢ ــ شعر منسوب : فيه نسيب (غزل) .
٣ ــ خط منسوب : ذو قاعدة .

رجل نشط

ويقولون : رجل نشط (بفتح فكسر) . والصواب : رجل نشيط او ناشط ، أي : الذي تطيب نفسه للعمل وغيره .
ومن معاني الفعل : نشط (بفتح فكسر) ينشط (بفتح الشين) نشاطا :
١ ــ نشطت الدابة : سمنت .
٢ ــ نشط من المكان : خرج .
٣ ــ نشط فلان : قطع من بلد الى بلد .

نصب عينه

ويقولون : وضع استرداد فلسطين نصب (بكسر فسكون) عينه .
والصواب : وضع استردادها نصب (بضم فسكون) عينه ، أي : امام نظره .

النصبة

ويطلقون اسم النصبة (بفتح فسكون) على الشجرة الصغيرة ، التي تقتلع من مكانها لتغرس في البستان ، وهي ماخوذة من الفعل نصبه : اذا اقامه ورفعه . والنصبة عامية ، فصيحها غريسة (بضم ففتح فسكون) ، اذا كانت صغيرة جدا ، او : غرسة اذا كانت صغيرة .
ويستعمل آخرون كلمة شتلة (بفتح فسكون) ، وهي دخيلة من الآرامية بلفظها ومعناها .

نصب تذكاري

ويقولون : اقاموا للفدائي المجهول نصبا (بفتح ففتح) تذكاريا .
والصواب : اقاموا له نصبا (بضم فضم) ، او نصبا (بفتح فسكون)، او نصبا (بضم فسكون) تذكاريا .
اما النصب (بفتح ففتح) فهو :
١ ــ التعب .
٢ ــ العلم (بفتح ففتح) المنصوب .

أخذ بناصره

ويقولون : اخذ بناصره . والصواب : ناصره ، او نصره ، او شد أزره ، او اخذ بيده ، لان الناصر هو :
١ ــ الناصر : النصير ، وجمع الناصر : نصر (بفتح فسكون) مثل : صاحب وصحب . أما جمع النصير فهو : الانصار ، مثل شريف وأشراف .
٢ ــ الناصر: المسيل الذي ياتي بالماء من بعيد. وجمعه : نواصر.
٣ ــ الغيث (مجاز) .
٤ ــ كل من ينتمي الى قبيلتي الاوس والخزرج ، اللتين ناصرتا رسول الله (ص) ، والجمع : انصار . والنسبة : انصاري . وهي : نصيرة .

نصراني

ويقولون : هذا رجل نصراني (بضم النون) والصواب : نصراني (بفتح النون الاولى) ، نسبة الى الناصرة على غير قياس . وهو نصران ، وهي نصرانة (بفتح النون فيهما) ، وهم نصارى ، مثل ندمان وندمانة وندامى . وقيل : نصران ونصرانة لا يستعملان الا في الشعر . قال ابو الاخزر الحماني :
فكلتاهما خرت ، واسجد رأسها كما اسجدت نصرانة لم تحنف
وقال صاحب الصحاح ، بعد ان استشهد بهذا البيت : « ولكن لم يستعمل نصران الا بياء النسب ، لانهم قالوا : رجل نصراني ، وامراة نصرانية » .
والنصرانية ايضا : دين النصارى .

صيدا ــ لبنان محمد العدناني

بمناسبة الاحالة الى المعاش في ٣ سبتمبر ١٩٧٢

حرروني ، فديتكم ، من قيودي   واسمعوا في الغناء عذب نشيدي
واحيلوا الى المعاش .. سجينا   لم يعش لحظة .. وراء السدود
كنت حيا .. وكنت ميتا سواء   لابسا في الحياة .. ثوب فقيد
لم تزل حولي العيون .. تراعيني .. الى ان بكت عيون قصيدي
لا تخافوا .. فقد وكلت لربي   أمر رزقي .. فخصني بالمزيد

أحمد الله .. قد بلغت انتصاري   آخر الحرب.. بعد طول الصمود
أنا كالطائر الذي هجر الاقفاص .. يبغي حرية التغريد
والسجين الذي اقام طويلا   في ظلام الحرمان ، والتشريد

أحمد الله . قد خرجت نقيا   طاهر الذيل ، لم تدنس برودي
لم يغرر بي النضار .. ولكن   بات بالزهد وهو جد زهيد
وكفاني العنقود من صالح الكر   م ، فاغني عن ابنة العنقود
ان اقل « ثائر » فقولة حق   او اقل « صابر » فربي شهيدي
او انادي بان يحرر شعبي   فلانني كرهت ظلم العبيد
شرع الله عتقهم .. فلماذا   تعلن الحرب بين بيض وسود
ان دهى السود لفحة الشمس .. فالبيض .. لهم في الجحيم لفح الوقود
انما الصدق ، والتواضع ، والايثار ، والحب .. كل ذاك رصيدي
وحصيدي من الحياة هو الصحب . وارجو الا يقل حصيدي
أطفىء النار ان تنال خصومي   وهم يعملون للتصعيد
واذا اشرف الحسود على المو   ت .. تمنيت لو فديت حسودي
سيئاتي .. ان لم تكن حسناتي   للذي بالعداء .. طوق جيدي

ان للشعر .. كل حين من الدهر .. نداء للبعث ، والتجديد
صاحبي مذ بلغت عشرا ، الى ستين .. احلام صحوتي ، ورقودي
انه في صباي أسعد جدي   وهو اليوم.. مسعد .. لحفيدي
واذا عشت .. متلف لحياتي   واذا مت .. ضامن لخلودي
وهو سحر عهدته اي سحر   يلبس الفاتنات اغلى العقود
ويغني كانه الطائر الصداح .. مستلهما جمال الوجود
باقة الزهر ، صحبة للورود   غمزة العين ، حمرة للخدود

يا ليالي الاسكندرية عودي   وامنحي القلب حبه من جديد
وامنحيني ركنا .. على شاطىء البحر.. من السابحات .. غير بعيد
هذه فترة السكون الى الرا   حة .. بعد العناء والمجهود
عمل الصامتين اكثر جدوى   من هتاف مجلجل الترديد
وامنحيني من البصيرة والايمان .. نور الهدى ، وسر الشهود
ليس بعد المشيب.. اجدى على العاقل .. من ذكر آية التوحيد
ان في ان اعيش ستين عاما   لحياة .. وربي المعبود

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري



الدكتور علي الناصر

رسائل من علي الناصر

١٨٩٠ — ١٩٧٠

بقلم فاضل السباعي

* * *

— ٩ —

حلب ١١ — ١ — ١٩٦٩

فاضلي العزيز

اخذت رسالتك ، وقرأت اقصوصتك في مجلة « الاديب » (٢٠) .

فاقول لك بحق انها ناجحة ومفيدة . وعندي أنه يجب على كل من له علاقة بتربية الاطفال ان يقرأها ، لان الاطفال حساسون بصفة خاصة تجاه الظلم والاجحاف بحقوقهم ، الامر الذي يخلق عندهم عقدا نفسية يعانون من ضررها طيلة حياتهم ، ويمكنها ان تنحرف بهم عن سواء السبيل . ومن هنا تظهر الفائدة في اقصوصتك هذه ، وقد تمكنت من عرضها وبلغة الاطفال عرضا واقعيا موفقا ، ونجحت في انهائها في صورة روائية لبقة ، وهذا ما تمتاز به رواياتك طويلة كانت ام قصيرة .

اما المنتخبات ، فقد انتهى طبعها تقريبا ، وسترسل اليك نسخة منها في اول فرصة .

ها أنا مرسل اليك مقطوعتين مما كتبته حديثا .

مع تمنياتي الحارة واشواقي ، عزيزي . (الدكتور علي الناصر)

— ١ —

. . . .

● راجع « رسائل من علي الناصر » الاديب عدد يونيو ١٩٧٢ .

— ٢ —

أحس كأنني ما زلت طفلا أدرب مجبرا في درب عمري
أتأتىء ناطقا ، أخطو وأحبو وأبكي في العثار وضيق صبري
ويشدهني الجمال ، كأن عيني لاول مرة فتحت فاجري
بلا حذر أمد يدي مشوقا أحاول قبضه بيدي وفكري
تهلل في خفي كيان نفسي رغائب ما اتحنت يوما لقسر
هنا أهوى . . . . هنا أنسى . . . .

— ١٠ —

حلب ١٣ — ٣ — ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

انني آسف ان اقول لك انني أضعت رسالتك السابقة (٢١) ، وان اخبرك بأن « س » (٢٢) قد غدر بـي ، (..........) . وكنت لا أبخل عليه بشيء بالرغم عن التحذير المتواصل من قبل الاصدقاء ، لانني كنت مخدوعا به لدرجة البلاهة وحسن النية ، وكنت في سعي متواصل لاجد له عملا ، فلذا أرجو الا تعترف به من الآن فصاعدا . وانك لو قرأت (......) ، لبهت كيف نسج علينا خيوطه الشيطانية واصطادنا كما يصطاد العنكبوت الذبابة .

اما بخصوص الدكتورة زاهدة (٢٣) ، فان أخاها قد اشترى عشرين نسخة من الكتاب ، وهذا فضل منه ، وقلت له في حينه ان يرسل لها ولزوجها نسختين (.......) لا يمكنني ان ارسل هدايا الى اصحاب القائمة التي ارسلتها لي في الوقت الحاضر (٢٤) .

وعلى كل فان عدنان سيذهب الى دمشق في آخر الشهر ...... وسيطلعكم على التفاصيل ، وكيف اننا نسعى لسحب قسم من النسخ على أمل ان تشتريها وزارة الثقافة والارشاد او غيرها من المؤسسات التي نأمل ان تعوض شيئا مما صرفناه (٢٥) .

لا تؤاخذني على هذا الكتاب المضطرب السخيف ، لان روحي في فوضى ويأس ، وانني لاخجل من سذاجتها وبلاهتها وظنها بالناس الخير والصدق . واظن انها ستحمل بلاهتها حتى في العالم الآخر .

كم انا مشتاق اليك . (الدكتور علي الناصر)

— ١١ —

حلب ٣ — ٤ — ١٩٦٩

فاضلي العزيز !

ان شوقي لك لشديد ، وارجو ان تتاح لي الفرصة ، أو لك ، لنلتقي عن قريب .

ها أنا مرسل لك هدايا نسخا من كتابي مع صديقي الودود السيد جورج راعي ، صاحب صيدلية الحرية . فارجو ان تتلطف بارسالها لاصحابها (٢٦) . واذا صعب عليك الامر استعن بالاستاذ سعد صائب او غيره .

وانني اكرر تنبيهي لك بعدم الثقة بـ « س » ، لانه لا يستحق الثقة ، كما سأشرحه لك فيما بعد .

وارجو ان تعلمني عن عنوان الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة ، لاقدم له نسخة .

هذا وقد ارسلت نسخا لجميع من في القائمة التي ارسلتها الي من الادباء والاديبات والشعراء والشاعرات في مصر (٢٧) ، كما انك اذا شئت ان تدلني على غيرهم فلا مانع .

هل بالامكان تصريف بعض النسخ بواسطتك في دمشق ، بدون ان تكلف نفسك ما تكره ، حتى ارسل لك ما تريد منها ، أم لا ؟

صحتي خير من قبل . وسأذهب والعائلة الى بيروت لنرى ولدي وعائلته ، في شهر أيار .

انني لا ازال اكتب بعض المقطوعات .

وفي الختام اقبل جبينك الوضاح العالي ، واهدي احتراماتي الى العائلة الكريمة . (الدكتور علي الناصر)

– ١٢ –

حلب ١ – ٥ – ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

بعد جهد جهيد وجدت رسالتكم التي تسالون فيها عن رأيي في قصتكم « رسالة غير ودية » ، وكنت قد قرأتها واعجبت بها ، فهي نوع جديد مما بدأتم تحاولونه ، واني قمين بأنكم ستبلغون القمة بما تصبون اليه من الفن الرفيع .

أعدت اليكم المقطوعتين ، وصححت وشكلت ما اردتم (٢٨) .

وها أنا ارسل مقطوعة كتبتها صباح هذا اليوم :

أهاب بنا الوهم في حقبة فكنا نعيش وكنا نريد
وفارقنا الوهم واحسرتا فرحنا نحن ورحنا نعيد
فيأسك ، يا صاح ، طي الرشاد وطي الضلال ، قديم جديد

لأنت التي في مساء الحياة حفظت الوداد المقيم البليد

تردني رسائل من اقطار العالم العربي مشيدة بالديوان الاخير ، مما جعلني اعتقد اننا خطونا خطوة جدية الى الامام بخصوص الفن ، والبعض أرسل شيئا من نتاجه ، ومنهم الدكتور عبد العزيز حبابي ، فقد اهداني قصته « جيل الظمأ » وكتابه « من الكائن الى الشخص » ، وهو بلا شك فذ من افذاذ الادب والشعر في اللغتين العربية والفرنسية .

أما ما طلبت من النسخ فاني سأرسلها متى سنحت الفرص وفي اقرب وقت (٢٩) .

احترامي الى الدكتورة زاهدة ، ومن يهمه امري ، مع عميق حبي وشوقي . (الدكتور علي الناصر)

حاشية : طلب « أدونيس » من وليد اخلاصي معلومات عني . ولكنني لم أجد مناسبة لاجتماعي بوليد ، وانت تعلم مقدار تهاوني بهذه الامور .

– ١٣ –

حلب ١٢ – ٦ – ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

أخذت رسالتك ، وشكرتك على اهتمامك الصادق بي .

اما بخصوص ارسال نسخ عن الرسائل التي وردتني بخصوص الديوان ، فانني لا اريد نشرها في الوقت الحاضر (٣٠) ، (......). وقد أتمكن في المستقبل من نشرها مجموعة .

ان صحتي لا بأس بها ، لولا التوتر العصبي الشديد الذي اعانيه. ولا أخفي عنك أنني في ثورة غضبي طردت « أ. ن » ، لانه هو السبب في معرفتي ب « س » ، وانني غير نادم على ما فعلت ، لان صداقته على مقدار انتفاعه مني ، وقد سئمت مثل هذه الصداقات التي لا تجلب غير الضرر .

شوقي اليك كثير ، مع تقديم احترامي الى السيدة زاهدة ، لاني أكن لها ودا واحتراما أكيدين . ودم لمن يقدر لك اهتمامك بقضاياي ، ولدي العزيز . (الدكتور علي الناصر)

– ١٤ –

حلب ٤ – ٨ – ١٩٦٩

أبو فراس السباعي الحبيب !

هذه أول مرة طيلة حياتي المديدة أكتب جواب رسالة بعد تلقيها فورا (٣١) . ومن هنا تدرك وانت اللبيب مقدار سروري بمولود (روايتكم) الجديدة ، جعلها الله مشرقة نضرة خالدة (٣٢) .

فالى الامام ايها الفارس المغوار ، مع قبلاتي الى « فراس » و « الفراسات » اللواتي اشتاق لرؤيتهن ، ايها الصديق الذي اعتز بصداقته .

سلامي الى من يذكرني في دمشق . (الدكتور علي الناصر)

– ١٥ –

٢٨ – ٨ – ١٩٦٩

فاضلي الصغير الكبير !

سامحك الله ، فقد عكرت علي نصف نهار بالترقب لسماع كلمة « زين » ، التي تخفي عنك مخالبها بنعومة شعرها المخملي ، فهل كان اليوم والساعة اللذان عينتهما لي مغلوطين ؟ (٣٣)

وعلى كل يمكنك ان ترسل لي الكلمة ، وهذا امر هين . اما الذي ليس بهين فهو ما كتبته بتاريخ ٢٥ – ٨ – ١٩٦٩ ، والذي اظن ان ليس له من علاج :

صحو

الراعي الشاب ، الذي كان يقص على رفاقه كل ليلة كيف أنه

---

٢٠ – القصة هي « رسالة غير ودية » ، « الاديب » ، يناير – كانون الثاني ١٩٦٩ .

٢١ – يعني رسالتي المؤرخة في ٢٢ – ٢ – ١٩٦٩ ، وقد سألته فيها عن رأيه في قصتي « الصورة والاسم » المنشورة في مجلة « الاداب » كانون الثاني – يناير ١٩٦٩ ، كما اعدت اليه المقطوعتين اللتين تضمنتهما رسالته التاسعة ، لتصحيح وضبط كلمات فيهما . وان له عودة الى رسالتي تلك .

٢٢ – حرصت على ان ارمز الى اسم الرجل ، الذي جد الحديث عنه هنا ، بالحرف « س » ، ذلك ان الناصر سيكيل له سيلا من الاتهامات ، لسوء تفاهم وقع بينهما ، بدا انه انتهى فيما بعد الى « تفاهم » . وهذا ما حملني على ان احذف فقرات من هذه الرسالة والرسالة الرقم (١٣) التالية .

٢٣ – ان اشارته ، هنا ، الى الدكتورة زاهدة حميد باشا ، هي رد على ما كتبت اليه ، في ١٠ – ٣ – ٦٩ ، فور ان تلقيت نسخة من ديوانه « اثنان في واحد » ، قلت : « سألتني الدكتورة زاهدة عنكم وعن أخباركم ، وقد علمت منها انها لا تعلم بصدور الديوان . واعتقد انكم لن تنسوا اهداءها ، فهي من المعجبين بأدبكم » .

٢٤ – في رسالتي المؤرخة في ١٠ – ٣ – ٦٩ ، عرضت عليه اسماء عدد من الكتاب والشعراء وعناوانهم ، مقترحا عليه ان يرسل اليهم نسخا من الديوان هدية .

٢٥ – ان من بعض مأساة الكاتب العربي تلك « المعضلة » التي تصادفه حين نشره نتاجه في كتاب : ان « يمول » الطبع ، في احيان كثيرة ، وان يسهر على « توزيع » الكتاب اهداء وبيعا ، وان يروج له ، استيفاء للنفقات ! وها هو ذا شاعر كبير ، في السبعينات ، يضطر الى سلوك هذا السبيل ، وا أسفاه !!

٢٦ – المهدون هم : سعيد الجزائري ، عزيزة هارون ، يحيى الشهابي ، مفيد عرنوق ، صالح عضيمة ، سعد صائب ، اسكندر لوقا الدكتور ممدوح حقي ، الدكتور بديع حقي ، الدكتور نعيم الرفاعي ، الفة الادلبي ، مروان شاهين . تسلمت النسخ المهداة اليهم من السيد جورج راعي يوم ٥ – ٤ – ١٩٦٩ ، وقد زارني في مقر عملي آنذاك في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . وقد بعثت بها الى اصحابها ، عدا نسخة الدكتور بديع حقي الذي كان غائبا عن دمشق .

٢٧ – الذين اقترحت عليه اهداءهم ، وهم : حنيفة فتحي ، شريفة فتحي ، روحية القليني ، محمود بن الشريف ، محمد مصطفى الماحي ، عادل الغضبان ، الدكتورة لطيفة الزيات ، علي الجندي ، محمد عبد الغني حسن .

٢٨ – عثر ، هنا ، على رسالتي الضائعة ، فرد الى المقطوعتين المشار اليهما . ولكن الامر التبس عليه بالنسبة للقصة ، ف « رسالة غير ودية » المنشورة في « الاديب » ، سبق له ان بين رأيه فيها في رسالته التاسعة ، واما قصة « الصورة والاسم » المنشورة في « الاداب » ، والتي سألته رأيه فيها ، فقد بدا انه فاته الاطلاع عليها.

٢٩ – كنت قد طلبت منه ، في ٢١ – ٤ – ٦٩ ، ان يزودني

يشاهد (جنية الحرش) بجمالها الرائع ، الذي لم تــر مثله عين ، ويطيل في الحديث عنها ووصف فتنتها ...
لقد عاد ذات ليلة وفمه لا ينطق بكلمة ،
ذلك أنه ... رآها حقا !

فما يعني ، يا قلبي المسكين ، انشادك الحب طوال هذه السنين؟
لا تستح من دمعة تتأرجح بين جفنيك !
أنضب وهمك ، وعجز خداعك نفسك ، عن ان يريك حية تسعى؟
أين عينــا (لصتك) ؟
اين صدر ساذجتك المرحة ؟
اين (الشعر المسدل بالسكر) واليأس الحاني ؟
اين (......) التي ظلت طوال سنين معلقــة علــى صدرك ، جاهدة بصبرها وايمانها ان تهديك ؟
اين (...... الذي جمد مسماره من الطل) ؟
اين ؟... اين ؟...

يــا قلبــي !
مــا قددت من صوان .
فانا ابن امرأة ساذجة ، تقية ، حنون ، كافحت في حياتها البائسة بصبر شامخ .
لا تكتم تدلهك بعروبتك ووطنك وكرامة الانسان في هــذا الفراغ المخــزي !
لا تكن جبانا ، رعديدا ...
فقطرة حمراء من دمك النبيل فيها عنفوان الكفاح .

أما آن لــك ،
وقد هجرك الوهم ،
ان تحطم تماثيلك ببرودة ... الاصم الاعمى ! (٣٤)

صديقي الوفي ! قم عني بتقبيل جبين فراس ، مــع تقديــم ودي واحترامي لافراد العائلة جميعا . (الدكتور علي الناصر)

– ١٦ –

حلب ٣٠ – ٩ – ١٩٦٩

فاضلي الحبيب !

ان شوقي لك لا مزيد عليه . والآن اقول لك ان شوقي لرؤية «فراس» قد حطم الدكتور . وبالرغم من اني اخلفت وعدي مرارا كثيرة بخصوص زيارتي دمشق ، الا اني الآن ارى نفسي منقادا شئت او ابيت للبــر بالوعد ، وقريبا سأحظى برؤية ابتسامة « فراس » الملاك المفدى (٣٥).

أما بخصوص الايضاح الذي تطلبه لكلمة « صحو » (٣٦) ، فهــو كما يلي :

١ – (اللصة) : هي امرأة احببتها حبا عنيفا ، وكانت مبتــلاة بسرقة ما تقع يدها عليه .

٢ – (الشعر المسدل بالسكر) : هو لـ « ج » ، التــي ضمتني سنين طويلة ورأمتني في محنتي كأم (٣٧)

٣ – (. . . . .)

٤ – (...... الذي جمد مسماره من الطل) : قطعــة كتبت لـ « زين » ، التي كانت تسلس ايضا (......) .

حاشية : هؤلاء النسوة ، اللواتي تذكرتهن اثناء كتابتي هــذه الكلمة ، لسن سوى ذكريات أتت عرضا للتعبير قليلا عن قلب يخفق ، ولما يزل يخفق ، امام الجمال والضجــر والشوق الذي لا تخمــد نــاره (٣٨) .

فاضلي العزيز !

اياك ان تبوح بالسر (٣٩) ، وهنا تدرك المقطوعة التــي كتبتهــا بتاريخ ٢١ – ٩ – ١٩٦٩ ، وهي كما يلي :

صاح ! اني خبرت قبل مماتــي   مغريات الاوهام ، شكلا فشكــلا
فتبلدت ... حين طيف مماتــي   راح يشتاق لــي نهارا وليــلا
عاشق يحمــل اكتئــاب شتائــي   وانحلال الاشواق حــولا فحــولا

بنسخ من الديوان لاتولى اهداءها الى بعض من اعرف مــن الكتاب ، أملا في ان يكتبوا عنه . وقد بعث الي ، في بريد لاحق ، بخمس نسخ ، قمت باهدائها الى كتاب ... لم يكتب اي منهم كلمة عن الديوان .

٣٠ – كتبت اليه ، في ٩ – ٦ – ٦٩ ، اقــول : « حبذا لــو تعهدون الى احد اصدقائكم بنسخ ما ترون من الرسائل الواردة المتضمنة آراء في ديوانكم ، وتوافونني بها لاحيلها بدوري الى النشر » .

٣١ – كنت قد أشرت عليه ، في رسالتي المؤرخة في ١ – ٨ – ٦٩ ، ان يقرأ الصفحة ٦٢ من عدد اغسطس – آب ٦٩ مــن « الاديب » : « ففيها خبر شخصي » عني ! ذلك أني قــد رزقت في ٣٠ – ٦ – ٦٩ غلاما سميته « فراس » ، بعد ان منحني الله ثلاث بنات خلال تسعــة عشر عاما من زواجي .

٣٢ – لست ادري لم سمى ابني « رواية » . لعل ذلك تقديــر منه لادب الاديب ، فالنتاج الادبي عنده يعدل في قيمته الولد .

٣٣ – كنت قد هتفت اليه ، من دمشق الى حلب ، في يوم ٢٠ أو ٢١ – ٨ – ٦٩ ، اخبره بأن « زين » قد سجلت معي مقابلة اذاعية ستذاع من راديو دمشق في السابعة من مساء الجمعة ٢٢ – ٨ – ٦٩ . ثم تبين لي أني قد اوقعته في المطب الذي وقعت أنا نفسي فيه : فــلا أنا ولا هو أتيح لنا ان نسمع شيئا في الموعد المحدد . ذلك ان المقابلة لم تذع من اذاعة « مع الشعب » التي يسمعها السوريون عادة ، بــل من « البرنامج العام » ، وهو اذاعة ترسل الى البعيد . وقــد فهــم الناصر مني خطأ ان ما يذاع هو كلمة من « زين » عني .. سامحني الله .

٣٤ – بعثت بهذه المقطوعة النثرية ، التي سميتها « صحــو » ، الى « الاديب » في ٣ – ١٠ – ٦٩ ، فنشرت المقطــع الثالث منفصلا في عدد نوفمبر – تشرين الثاني ٦٩ ، ثم المقطع الاول في عدد يناير – كانون الثاني ٧٠ . على ان المقطوعة نشرت كاملة ضمن مقالي « الشاعر علــي الناصر » في مجلة « المعرفة » ، المشار اليه في غير هذا الهامش .

٣٥ – كنت قد كتبت اليه ، في ٢٨ – ٩ – ٦٩ ، اقــول : « ان فراس ولدي الحبيب ، ينمو بسرعة ملحوظة . وهــو دائــم الابتسام والضحك . من المؤمل ان يطلع كاتبا روائيا ! » .

٣٦ – يبدو اني ، اذ كتبت اليه رسالتي المؤرخــة في ٢٨ – ٩ – ٦٩ وطويتها على نسخة من مقطوعته النثرية « صحو » لاقرار نشرها ، قد استوضحته بأسطر كتبتها على النسخة ذاتها ، عن بعض التعابير في المقطوعة . فهو هنا يجيب عن الاستيضاح .

٣٧ – سبقت الاشارة اليها في أولى الرسائل .

٣٨ – ان هذه الايضاحات الاربعة والحاشية ، قد ضمنتها مقالي في مجلة « المعرفة » ، العدد المشار اليه في حاشية سابقة .

٣٩ – لا احسب ان هناك سرا أبوح به بعد ان رمزت الى الاسماء الصريحة بحروف .

٤٠ – كنت قد بعثت بهذه الابيات ، بعد ان سميتها « شتــاء العمر » ، الــى « الاديب » في ٥ – ١١ – ٦٩ ، فنشرت في عــدد ديسمبر – كانون الاول ٦٩ .

٤١ – كنت قد اقترحت عليه ، في رسالتي المؤرخة في ٢٨ – ٩ – ٦٩ ، ان يقدم نسخة من ديوانه الى صديق العرب والمسلمين المستشرق المجري الحاج عبد الكريم جرمانوس ، وكتبت له عنوانه . وقد بدا ، الآن ، انه قد فعل ، وانه تلقى رأي الاستاذ المستشرق في الديوان .

٤٢ – وجهتها الى « الاديب » ، في رسالتي المؤرخة في ٥ – ١١ – ٦٩ ، وقد نشرت في عدد يناير – كانــون الثاني ، بعنوان « الــى الدكتور علي الناصر » .



الهوى والغد

تقولين : انا على موعد
مـع الامنيات الخضيلة
في شرفـات الغـد
مـع الليل والانجم
وطيف الرؤى .
فيـا للغـد
وفي الضفة الثانية
ربيــع دمـاء
وموسم ذل ونـار

سئمت من الامس والذكريات
ومن قول : « انا على موعد
مع الامنيات الخضيلة ،
في شرفات الغد »
وأي غـد
لنا ، وظلال الهوان تخيم فوق الرؤوس
وألف حبيب يمور
وراء الحدود
وفي القدس ضوء الشموع

خبا تحت صخر الدموع
وفي غـزة الراعفه
يمرغ في الوحل معنى الوجود

فيا أنت سيري ولا تنظري
وراءك ،
اني رميت القيود
وخلفت في عتمات الكهوف
صبابات « قيس صغير »
لو امتدت الظلمة العاتيه
لمـات – برغم الغـد
أسير اللظى والهجير

هواي أماني الصغار
وعـزم الكبـار ،
هواي انهيار السدود
هواي انتصار كبير
كبـير .

دمشق رضوان عقل

ذلة ... ان تشيح بالوجه عمـا كنت تفديه بالحشاشة قبلا (٤٠)
(بلا توقيع)

– ١٧ –

٣ – ١١ – ١٩٦٩

فاضلي الحبيب
ها أنا مرسل لك رسالة المستشرق جرمانوس (٤١) ، بالرغم عـن ان لدي العشرات من الرسائل التي ارسلت الي من قبل الشخصيات العربية البارزة في الادب . أرجو منك ان تنشرها في أي مجلة شئت (٤٢) ، قبل نشر اخواتها والتي آمل ان انشرها في كراس خاص .
شوقي اليك وللحبيب فراس ، عظيم . واحترامي الاكيد لافـراد العائلة . (الدكتور علي الناصر)

تلك كانت آخر كلمات الناصر الي .
وكان آخر ما كتبت اليه في ٢٠ – ١٢ – ١٩٦٩ :
أستاذي الكريم
تحية وشوق . وكل عام وانتم بخير .
أخط اليكم هذه الرسالة ، وانا في استعجال . فالمعذرة .

نشر في « الاديب » ، عدد نوفمبر – تشرين الثاني ٦٩ ، جـزء صغير من قصيدتكم التي سميناها « صحو » ، وفي عدد ديسمبر – كانون الاول – نشرت قصيدتكم « شتاء العمر » :
صاح ! اني خبرت قبل مماتي ....
واما رسالة الدكتور جرمانوس ، فمـا أشك في انهـا ستنشر في « الاديب » في العدد الذي يصدر اول العام الجديد . وكل عام وانتم بخير ......
ثم اسلم لاخيك المخلص .

وبعد ، لقد لقي الشاعر الدكتور علـي الناصر نهايته برصاصة غادرة ، وهو وحيد في عيادته بحلب ، ظهيرة الاول من حزيران – يونيو ١٩٧٠ . ولم يكتشف أمره الا بعد عشرين ساعة على مصرعه .
وها قد تقضى عامان على مصرعه ولما يعرف قاتله .
ورحمات الله عليك ، ايها الصديق ، انسانا وفنانا قـد جهل قدره الناس .

دمشق فاضل السباعي

الـدمـوع

قـدسوهـا
فهي ذوب الروح
في لهب المجامـر
وهـي لولاهـا
لكـان الكـون قفـرا
للمسافـــر
انها فيض ينابيع الفؤاد
فاذا ما امتلأت تلك الينابيع
طفـت
فاندفعت عبـر المحاجـر

وارحموهـا
انما تسكابها رمز الندم
يعصر القلب فيدمي
هاتفا .. يـا ليتني
يـا ليت لـم
انها تغسل ادران الخطيه
ترجع النفس طهورا
انهـا تفعل .....
في القلب الـذي
أيقظه باري البريـه

وارهبوهـا
انها صامتة انطق من الف لسان
عندما تحكي حكايات الالم
مزجت من شقوة القلب
بـدم
في المآسي .. في السجون
في ظـلال المـوت
في صمت الثكـل
في ظلام تنحني فيه الرجال
تحت احمال من اليأس
ثقـال

انها صامتة انطق من
الف لسـان
عندما تحكي حكايات الالم
مزجت من شقوة القلب
بـــدم

الدمـوع
اي سر في الدموع .. ؟
دمعـة الطفـل الحبيب
ان في قوتها شيئا عجيب
سمرتنا .. جعلتنا كالعبيد
حول مهد الطفل نجثو
اي مكروه دهاه .. ؟
ليتنـا كنـا فـداه

دمعة خرساء في عين الشيوخ
مـا امر الدمعة الخرساء
في عين الشيوخ
انها تهمس فات العمر
ويحي كيف فات
انها تلمس نبع الخير فينا
انهـا تنطقنا
يا بؤسه شيخا ضعيف
ظللوه بالحنان
قبل ان يمسي صدى . او ذكريات

دمعة تسكب في حجر مريض
انها تقرع ابواب السماء
دمعة الام .. بصمت بوجيب
انها قدسية النطق
تنـادي بالفـداء
في ليالي البؤس .. من قلب العذارى
اكـل اليأس رجاهـا
في ليالي البشر في لقيا احبه
بعد ان طال نواها

يا دموع الندم القدسي
قـد طهرتنا
يـا دموع الشوق خففت عوادي
مـا بنـا

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي

شعر امين نخلة في العشرينات

بقلم حارث طه الراوي

* * *



عثرت ، وانا اتصفح الجرائد العراقية والسورية الصادرة في العشرينات على قصائد وابيات شعرية للشاعر الكبير الاستاذ امين نخلة غير منشورة في دواوينه المطبوعة .

ومهما تكن الاسباب التي حالت بين الاستاذ نخلة وبين نشر هذه القصائد ، فان بقاءها في الظل انما يفقدنا حلقة من سلسلة تطور شعر وشاعرية شاعرنا ، ينبغي الا تفقد .

وسأتناول هذه النخليات المجهولة بالعرض والتقييم فيما يلي وفقا لتسلسلها الزمني :

١ ـ موشح « ولية الامر » :

وهو اول عمل شعري وقفت عليه لامين نخلة . وقد نشر في جريدة « العراق » البغدادية (السنة ٢ ـ العدد ٤١٠ ـ ٢٨ ايلول ١٩٢١ ص ٣) . وقد مهدت له الجريدة بالمقدمة التالية :

« ناظم هذه القصيدة (امين افندي نخله) شاعر رقيق رغم حداثة سنه ، فهو فتى في روعة الشباب ، وقد ورث الشاعرية عن ابيه (حضرة رشيد بك نخلة) الاديب اللبناني الكبير المعروف برقته وابداعه في المنظوم والمنثور ، وسننقل الى ادباء العراق من حين الى اخر شيئا من آثار « الاب » و « الابن » فنوقفهم على « روح » الشعر العصري الراقي » .

وهذا الموشح مكون من اربع مقاطع استوعبت تمنيات فتى « رومانسي » ملتهب الدم مجنح الخيال . وتسري في هذه المقاطع روح شاعر من شعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين الرومانسيين ولكنها لا تطغى على روح الفتى العربي اللبناني :

انا لو كنت نفحة الروض صبحا   أملأ الروض والروابي فوحا
ما لعبت الصباح الا بشعرك

انا لو كنت نحلة في البكور   اجتني الشهد من ثغور الزهور
ما وقفت البكور الا بثغرك

انا لو كنت موجة في البحر   أتهادى ما بين صخر وصخر
ما سكنت المساء الا بصدرك

آه لو كنت هذه او تلكا   آه لو كنت ـ بين أيديك ـ ملكا
آه لو كنت ـ والكيان بامرك

اما الابيات الغزلية الثلاثة التي نشرها الامين في جريدة « المعرض » البيروتية (السنة ١ ـ العدد ٥ ـ ٦ تشرين الاول ١٩٢١ ص ٧) فتبدو ـ رغم رومانسيتها الواضحة ـ بريئة من روح شعراء الفرنسيس ، تترقرق فيها روح امين الحلوة المرحة ، وتزينها الجزالة العربية الجميلة :

اذا ما دعت في جنح ليل حمامة   وجاوبها فوق الغصون أليف
وهب شميم الشيح في الايك هبة   لها عند تحريك الغصون حفيف
وددت لو اني كنت طائر أيكة   أناجي حبيبي ساعة واطوف

واطول قصائد الامين في العشرينات قصيدة « ما الارز الا الشام » (جريدة الفيحاء ـ العدد ١٧ ـ ١٧ ت٢ ١٩٢٣ ص ٥) التي تقع في (٣٥) بيتا . وليس في هذه القصيدة وحدة موضوع ، فالشاعر يستهلها بالحنين ويلج منه الى السياسة ومنها الى الفخر . وحسبي أن اقتطف الابيات التالية من الحنين الوجداني:

كم في هواك مكابد ومقاسي   دنف عليك وما له من آس
لكنما وجدي وأنت عليمة   وقد الهوى قبل اشتعال الراس
يا أنس لذات الشباب وراحها   ومقيل صفو الشاعر الحساس
بك جهد هذا الحب والوجد الذي   أطويه بين جوانحي وحواسي
ارض شببت بها واورق فوقها   عودي ، وكان جمالها ايناسي
كم ريبة لي في الزمان وأهله   والحب قيد الريب والوسواس
اني لاوجس خيفة من طارق   اما حسا من فيض مائك حاسي
وأخاف نفح الآس في خطراته   فلرب عاصفة ينفح الآسي

ومن ابياته السياسية التي تصور واقع الحياة السياسية في لبنان سنة ١٩٢٣ قوله :

« البرلمان » وما ذكرت جلاله   الا صبوت الى بلاد الناس
شورى هناك اساسه حق وما   في الحق من عدل ومن قسطاس
فالمستظل من الشعوب ظلاله   ما بات خوف الملك في ايجاس
والملك ان قامت دعائمه على   حرية وشريعة وقياس
عزت جوانب عرشه وبدا بها   للحق نبراس على نبراس
هذا هو الشورى الصحيح فهل لنا   في « مجلس التمثيل » غير كراسي

ومن ابياته في الفخر والاعتزاز بالعروبة قوله :

قالوا : العروبة قلت من ابناؤها   حسب أتيه به رفيع الراس
« غسان » منسبه ومطلع أصله   حيث الاصول نواضر الاغراس
فمواطن الخيم المنيعة موطني   واناس حامية الخيام اناسي
ما ضرني والدهر بدل أمره   اما تبدل منزلي ولباسي
وانا الذي ملء الزمان قصائدي   عربية الارواح والانفاس
ومضارب الاطناب قبلة صبوتي   وشمائل الاعراب خمرة كاسي
واذا هويت العرب لم افقد هوى   لسحقيق اودية وشم رواسي
لبنانها والسفحتان وارزها   روحي فدى الجبل الاشم الراسي
ما الارز الا الشام من احسابه   وهي الطوال متينة الامراس
ركنان من شرف العمومة في العلى   قاما على الارماح والاقواس

ويظهر اعتزاز الامين بلغة الاجداد بكل وضوح وجلاء في قصيدته « لغة الاعارب » (الفيحاء ـ العدد ٢٣ ـ ١ كانون الثاني ١٩٢٤ ص ٥) حيث يقول :

لغة الاعارب أسعدت زمنا   كانت به الجوزاء سدتها
واليوم في ابنائها شقيت   أتزول بعد اليوم شقوتها
سل خاطرات الروض باكرة   هل في نسيم الروض رقتها
والبلبل الشادي هوى وجوى   هل في شجي النوح لهجتها
والدوح مصطبحا ومغتبقا   هل في نضير الدوح نضرتها

هذا الربيع أتى وبهجته   أربيعها يأتي وبهجتها
ما ان تقوم وترتقي لغة   ما لم تقم في الارض دولتها

يا زهرة الياسمين

اليهـا على ضفاف النيـل ... بعد غيبة عشر سنوات

اريجك يـا زهرة الياسمين يرش بقلبي الجوى والحنين
وعيناك مـا زالتا كالسماء صفـاء ، كحبات مـاء معين
ومـا زلت أنشودة للربيع ومـا زلت أمنيـة الحالمين
ومـا زلت فتنة كـل العيون ومـا غيرتك ليالـي السنين

وثغرك مـا زال يـا زهرتـي كمـا كـان بالامس كالكرزة
وموعـده ظامـىء ظامـىء ومن وهـج الشوق كالجمـرة
وعمرك ان زاد يوما تزيـدي جمالا ، فيـا روعة الروعـة
وما زالت الخمـر في وجنتيك تطـل صنوفا مـن الفتنـة
وهـذا عبيرك مـا زال يسري ويفعـم دنيـاي بالنشـوة

رأيتـك فانسابت الذكريـات بقلبي ، فاورق بعـد الفوات
وكـان حديثـك كالاغنيـات بسمعي وأحلى مـن الاغنيات
فتحت فؤادك ثـم انطلقت تقصين مـا قـد تولى وفات
ولمـا انفعلت رأيت الدموع تساقطن كالانجـم النيـرات
فديت دموعـك يـا منيتـي فديتـك ، فاتنة الفاتنـات

ألا ليتنـي عالمـا مـن رؤى ليسبح في عالم مـن خيـال
وينساب نحو الاماني الوضاء بروضك حيث الهوى والجمال
بغير قيـود ، بغيـر سدود بغير حـدود ، بغير محـال
وينشق منـك هـوى فاتـه هـو السحر لكنه مـن حلال
ولـو يستطيع أحـال النجوم لصدرك عقـدا فريـد المثال

تمنيت .. كم أمنيات عـذاب ترد الى القلب شرخ الشباب
تهدهـه قبـل فوت الربيـع ولكنهـا أمنيـات كـذاب
مجرد وهـم يبـل الظمـا مجـرد أمنيـة بالشـراب
صرعت بها النفس كي تستريح وتنجو مـن لفحات العذاب
اذا عـز نيـل المنى شاعـرا جرى واهمـا قانعـا بالسراب

صديقة قلبـي ، لا تعتبـي أئن ظمىء القلب لـم يشرب
فانت مناي البعيـد البعيد وحبـك منـي كالكوكـب
ولكنهـا خفقـة مـن فـؤاد يعربـد مـن شاعـر طيب
يعيش مـع الوهـم أيامـه وكـم حطم الوهم مـن مأرب
اذا لم يجـد واقعـا يشتهي دعيـه ليحلـم .. لا تغضبي

الكويت

محمود سلطان

وحسبي ان اختم هذه النخليات المجهولة الطريفة بالابيات الوجدانية الاخوانية التالية التي تصور وفاء ابي سعيد اجمل تصوير « ورب خل » (الفيحاء ــ العدد ٤٩ ــ ١١ تموز ١٩٢٤ ص ٥) :

ورب خل رعى في شيمتي زمنا خصب الوفـاء ومنضور المروءات
حتى اذا حال يومي بعد نضرتـه رعيت مـن يومه قحط المودات
اني اذا ما ربيعي عـاد مخصبه انزلته فـي مراعيه الخصيبات

واني اذ ابتهل من صميم القلب الى الله سبحانه وتعالى ان يمن على حبيبنا امين نخلة بالعافية والشفاء لارجو منه ان يضم هذه النخليات المجهولة الى « الديوان الجديد » في طبعته الثانية ان شاء الله .

بغـداد

حارث طه الراوي

قطار المساء يتوقف ويهبط عدد من الركاب من بينهم كان شخص طويل ورفيع يحمل حقيبة كبيرة يتقدم بخطوات ثقيلة نحو غرفة معاون المحطة وقدم له نفسه قائلا :

ــ انا عبد الهادي .. الناظر الجديد .. من فضلك مفاتيح الاستراحة .. وقف المعاون .. كان شابا صغير السن مد يده في خجل وشد على يد حضرة الناظر .. كان عنده خبر بوصوله ..

حاول ان يتحدث معه ولكن الضيف الجديد لم يكن على استعداد . اخذ المفاتيح واتجه بخطواته المرهقة نحو الاستراحة كان يعرفها جيدا انها تشبه غيرها من استراحات السكة الحديد .. لا جديد .. وضع المفتاح داخل قفل الباب واداره ..

انفتح الباب .. كان له صرير كئيب يقود عليه ــ يشبه غيره تماما ... وضع الحقيبة ثم اشعل عود الثقاب وعلى ضوئه وبعد ان تبين طريقه جيدا اغلق الباب وتنهد .. بحث في عصبية عن زر النور . ضغطه بقوة .. امتلأت الغرفة بالنور وتبين ملامحها .. كما قدر تماما مثل غيرها قديمة ومتآكلة .. طلاؤها ذكرى .. كلمات كثيرة مكتوبة على الحائط ...

تذكروا عبد المتجلي ...

للذكرى حسن ظاظا

نحمدو ...

اسماء زملاء سفر سبقوه الى الاستراحة كما سبقهم الى استراحات غيرها .. تذكر وحدته ولياليه الطويلة التي قضاها مسافرا او باحثا عن الراحة داخل حجرة من الحجرات .. احس برجفة تهزه بعنف .. لماذا يرتجف ...

الوحدة يحس بها اليوم .. التعب الارهاق .. الماضي .. الحاضر .. الايام المتشابهة ، صفير القطارات تذاكر ... مخالفة ...

صباح الخير يا حضرة الناظر . قطار يا ولد .. يا ناس حرام عليكم .. ماضيه كله شعر به فجأة .. أحس بالاشفاق نحو نفسه .. احس بأنه مسكين وان حياته ليس لها معنى .. ليس لها قيمة .. لماذا يعيش ؟ بل وكيف عاش الفترة الماضية كلها .. لماذا لم تختر له الاقدار عملا مريحا .. هل كان حاله سيصبح على ما يرام .. لو كان له بيت واسرة .. لو كان قد استقر .. كان يحب ان يعيش حرا والآن بل اللحظة شعر ان حريته قتلته .. احس بانه ميت .. وتحرك في صمت نحو السرير السفري .. مثل غيره تماما مجموعة من الانقاض .. القى بجسده فوقه .. لا يهمه شيء



بقلم السيد ابراهيم

سوى ان يرتاح ..

الرحلة شاقة .. حضر من اقصى الصعيد .. لكن لحظات .. وتنبهت كل حواسه .. كان يريد ان ينام لكن اشياء كثيرة كانت تحدث حوله .. شيء صغير يحاول قرض طرف الحذاء .. وتذكر انه حتى لم يخلع ملابسه .. نهض من الفراش .. يد مكتبه وجده ملقى بجوار السرير وحاول مطاردة الفار .. وجد على الحائط رسما ضاحكا لرجل يطارد فأرا دعابة من زميل سبقه اليه



الفار ... كان بجوار الرسم وبخط ضاحك .. مفعوله اكيد .. مكتوب .. سمع اصواتا تأتي من بعيد لم يتبينها جيدا .. يبدو انها ترتفع شيئا فشيئا .. لا يهم .. القى بجسده فوق السرير .. احشاء السرير يخرج منها اسراب من الحشرات .. احس بها تتسلل الى ملابسه ثم الى جسده ..

هب واقفا .. الضيق يكاد يخنقه .. اتجه نحو النافذة .. الموت يتسلل اليه خافتا .. عاد ثانية نحو الفراش .. ارتمى فوقه محاولا التغلب على الارق .. الصوت يرتفع .. يصفع اذنيه بعنف ، يتقلب على جنبه .. يهب واقفا تكاد اسنانه تتحطم من شدة ضغطه عليها ...

اف هؤلاء الملاعين .. ماذا يريدون الم يجدوا مكانا للسهر الا بجوار الاستراحة ... لا بد ان القنهم درسا .. ساخرج اليهم ..

وهرول خارجا من الباب واغلقه وراءه بعنف .. تبين على البعد مجموعة خيام كالحة .. عمال تراحيل .. هؤلاء الناس .. يغنون ؟ اقترب من الرجال .. هبوا وقوفا .. يا الف مرحب .. اتفضل .. شاي يا عليوه .. آنست يا بيه .. وادار بصره فيما حوله .. الخيام قطع من القماش الاسود المتآكل هجروها وافترشوا الارض الرملية .. القادر منهم افترش حصيرا .. يتناولون الشاي في اكواب من الصفيح ، سوداء .. يرتشفون السائل المغلي بسعادة .. كبيرهم يقول :

ــ يا واد يا علوان .. غني يا ولد ..

ــ حاضر يا بوي ..!

وغنى علوان بصوته الشاب .. كان علوان في الحقيقة يبكي .. صوته الحزين الشاب تسلل الى داخل نفسه أذاب آلامه وحرك اشجانه .. احس بعذابه ، بآلامه

غلطة ليس تغتفر

●

لا تسلني .. سل السحر — كلما هاج واستعر
فجفوني سقيمة — أو سل الليل والقمر
من لظى الحب اصطلى — وفؤادي قد انكسر
سورة الحب هل أنا — ضيق الافق والنظر
فلقد كان حبها — غلطة ليس تغتفر
كلما زار طيفها — زارني الدمع والسهر
لا تقل هل عشقتها — انظر الفعل والأثر
أو تلمني فانها — فتنة تخلب الفكر
صاغها الله كي يرى — ما عسى يصنع البشر
من رؤى الحلم صاغها — درة تخطف البصر
ليتني ما رأيتها — أو رأى القلب واصطبر
انني مـا ظننتها — تدع القلب .. ينتحر
أو تدري بانني — بعدها كدت اندثر

الناظور ـ المغرب — القمري الحسين

تخرج من اعماقه .. علوان مثله تماما .. يشعر بالوحدة .. بالحنين بالضياع ولكنه يختلف تماما عنه .. يغني ويبكي ولكنه راض عن نفسه .. لماذا . .

هل يستطيع ان يرضى هو الآخر عن نفسه ، عن حاله .. لماذا يتمرد .. والآن .. انتهى علوان من الغناء وتبعه آخر استخفه الطرب فأخذ يرقص ويرقص وهم يصفقون نسي نفسه واشترك معهم .. صفق بشدة ومع كل ضربة ومع كل نغمة كان يحس بآلامه تذوب بنفسه ، تصفو بحيويته تعود اليه ..

وتجولت عيناه دون وعي منه داخل الخيام .. مجموعة من الإواني الفخارية .. ملابس ممزقة .. كلها اشكال والوان .. سعداء .. كيف ؟..

ولكنه لم ينتظر ردا على سؤاله تحرر منه بسرعة لماذا يسأل ؟.. ارتد بصره بسرعة . غرق في افراحهم .. استخفه الطرب تحرر من الواقع المادي .. خلق في سعادة بعيدا عن الالم .. وجد نفسه يعيش معهم بروحه بكيانه .. نسي عذابه .. نسي رحلاته .. نسي كل شيء .. احس بالشبع يتخم قلبه .. انفرجت اساريره ضحك .. ارتفع صوته مجلجلا .. حياهم وردوا التحية باحسن منها ... السعادة تغمره .. السعادة ترفرف على الجميع كم كان غبيا .. بالطبع هم اذكى منه ..

احس بالانتعاش .. هفت نفسه لكوب شاي .. استجابوا له في كرم وكانهم كانوا يقرأون افكاره . وعندما احس بالجوع كانت في انتظاره مائدة حافلة بالعيش الجاف وقطع المخلل والجبن القديم .

اكل بشهية لم يعهدها في نفسه وهو المدخن العنيد . مر الوقت سريعا .. ضوء الفجر يتسلل في رفق ، والنسيم العليل ينعش الارواح الهائمة .. وقف خاشعا امام جمال الطبيعة وتنهد في راحة وهو يتطلع الى السماء الرائعة .. كان مبهورا .. احس بالحياة .. ردد في خشوع : سبحانك ربي .. كم من النعم تحيط بنا ونحن جاحدون .. سبحانك ربي .

وانهمرت دموعه وكأنها كانت تنتظر لحظة الفرج .. احس بالرضا وهو يرى الله في كل شيء حوله .

القاهرة — السيد ابراهيم



مدرسة الاستاذ الامــام

واثرها في اللغـة والادب

تاليف الدكتور احمد الشرباصي ـ (؟) صفحة ـ مطبعـة (؟)

بين يدي الآن آخر كتاب اخرجه الى المكتبة العربيــة الدكتور احمد الشرباصي وهو : « مدرسة الاستاذ الامام واثرها في اللغــة والادب » وقد بدأه بقوله :

« بدأ اعجابي بشخصية الاستاذ الامام الشيخ محمــد عبــده ـ عليه رضوان الله ـ منذ الصغر ، فما كدت اعقل معنــى الاسلام ومفهوم العربية حتى كان اسم الشيخ علــى لســانــي وفي جنانــي ، يراوحني ويغاديني ، وما كدت أبدأ دراستي الثانوية الازهرية حتــى كنت أراه كالمثل الاعلى للازهري ، واراه عنوانا للتفتح الذهني ، وسعة الافق في فهم الدين واستنباط احكامه » .

فالكتاب اذن نتيجة دراسة نفسية وحياة فكرية ، عاشها المؤلف اكثر من ربع قرن ، يعاشر الامام وتلاميذه وشيوخه ، ويقرأ له ولهم ، ويكتب عنه وعنهم ، ويستمع الى من يكتب عنه او يحاضر فيه .

نجد ذلك واضحا في حياة المؤلف وفي قوله : « واخذ اعجابــي بشخصية الاستاذ الامام يزداد يوما بعد يوم ، كلما تقدمت بي السن ، ولقد مضيت انتقل في مراحل دراستي : من الثانوية الى العالية فــي كلية اللغة العربية ـ حرسها معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ الــى التخصص ، الى « الماجستير » ، الــى « الدكتوراه » ، والاعجـاب بشخصية الاستاذ الامام موصول الزيادة والنماء ... فالامام محمــد عبده ـ في نظري وفكري ـ مجدد ديني ومصلح لغــوي ، ومجاهــد سياسي ، وعبقرية نادرة المثال من عبقريات ذلك الازهر الشريف » .

ولعل هذه العبارات قد حددت المنهج الذي سار عليه المؤلف في دراسة شخصية الامام ومدرسته ، لانها تصور الأهداف التي عاش في ظلها ينظر الى الشيخ محمد عبده طالبا ، ومدرسا ، وقاضيا ومفتيا ، وصحفيا واديبا ، ومصلحا اجتماعيا ، وسياسيا ثائــرا ، ومحاضرا ومتحدثا في الاندية الخاصة والعامة .

وليس أدل على ذلك الانفعال النفسي من ان ترى المؤلف قد اختار لحصوله على درجة « الماجستير » دراسة احد تلاميذ الامام ، وهــو امير البيان « شكيب ارسلان » ، فقدمه لقرائــه في جزءين كبيرين ، اشبع فيهما رغبة الاديب العربي ، وافرغ فيهما جهده ودراسته لاسلوبه الخطابي الفضفاض ، وخياله واستنباطه ، مؤيدا دراسته بالمثل الادبية القوية الدلالة . ثم اختار لحصوله على درجــة « الدكتوراه » دراسة عن اكبر تلاميذ الاستاذ الامام ، وهو السيد محمد رشيد رضا .

والدكتور الشرباصي خطيب اديب مدرس ، محاضر ، ولمثل هذه الشخصية اسلوب لا بد ان يصل الى مداه ، يقوم على بسط القــول ووفرة الادلة وسهولة العرض والعبارة ، مــع ملاحظة نفسية القارىء والسامع ، ليصل كلامه الى قلبه ، ويقع منه موقع القبول .

لذلك لا تكاد تبدأ في قراءة المؤلف في أي موضوع تناوله الا وتجــد نفسك مشدودا معــه ، لا تستطيع مفارقته حتى تنتهي منه ، وذلك بمـا يثير في نفسك من قضايا يأخذ في معالجتها بأسلوب شيــق رقيق .

وكذلك سار الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « مدرسة الاستاذ الامام واثرها فــي اللغة والادب » .

فهو يحدثك عن الامام وعوامل قوتــه في اللغة والادب ، فاذا هــي ، اولا : القرآن الكريم ، حفظه ، فكان لــه مددا لغويــا وفكريا ونفسيا ، استقام به منطقه وتعبيره وتفكيره ، ومعالجته لشؤون الحياة ، واذا هي ، ثانيا : استاذه الاول الشيــخ درويش خضر ، الذي قرأ معه رسائل ، وربطه بادب القرآن وأدب الحديث ، فانتزعه من دواعي اللهو واللعب ، حتى صار اللعب أبغض شيء اليه ، وحبب اليه القراءة والدرس ، فاستقل بعقله وجهده في المطالعــة والفهم ، وقد ورث منهما الكثير .

ثم كان باعث النهضة في الشرق السيــد جمال الدين الافغاني مرشده واستاذه ، وموجهه الى العنايــة بالانشاء ، وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، حتى صار ابرع من استاذه في البيان والتعبير .

ثم ينتقل المؤلف فيحدثنا عن آثار الامام الأدبية ، فقــد شرح « منهج البلاغة » كما شرح « مقامات البديع الهمذاني » .

وهنا يقف المؤلف موقف الناقد الاديب ، فيثير قضيــة قــدم الخلاف فيها حول نسبة كتاب « نهج البلاغة » للامام « علي » هل هو كلام الامام حقا ، او هو من صنع الشريف الرضي او غيره ، فينقــل رأي علماء الادب في ذلك ، من شك ، ومن أثبت ، ومن سلك طريقــا وسطا ، وموقف الشيخ « محمد عبده » مــن تلــك القضية وشدة احتراسه ، ونظرته الى الكتاب حين شرحه على انه كتاب لغة وبلاغــة وبيان وتعبير ، وانه لم يترك غرضا من اغراض الكلام الا أصابه ، ولم يدع للفكر ممرا الا جابه ، وانه باسمه « نهج البلاغة » جدير . على ان المؤلف لم يفصل في هذه القضية .

ويحدثنا عن شرح المقامات واثر الامام الادبي وتحقيقه ، بعــد ان يترجم لنا البديع ومقاماته ، وكيف ان شرح المقامات دليل على علــم الشيخ بالتاريخ ، وعنايته بتوضيح الامور البلاغية في اسلــوب كاشف قريب التناول من القارىء .

وقد تناول المؤلف مدرسة الاستاذ الامام وتلاميذه ، بعد ان تناول شيوخه ، ومن هنا تحدث عن اثــر الامــام في « شكيب ارسلان » و « رشيد رضا » و « سعد زغلول » ، وادباء عصــره وشعرائه وفي مقدمة من تكلم عنهم : حافظ ابراهيم ، ومحمــد مصطفى المراغي . فيقول : « كان الاستاذ الامام محمد عبــده صاحب مدرسة كبيرة فــي التوجيه الديني واللغوي والادبي والسياسي ، وقد استطاع في مجال الادب واللغة ان يجمع حوله طائفة من تلاميذه الذين صاروا فيما بعــد اعلاما في مجتمعهم وبين قومهم ، وتوافر لهم نصيبهم الملحوظ من الذوق الادبي واللغوي والاسهام الفكري في الحياة الفكرية بمختلف الجهود » .

ولقد جعل الشيخ محمد عبده من بيته ناديا علميا ادبيا ، يعمــر بالسمر الثقافي في المجتمع الذي يحضره كل عربــي بلهفة وشوق ، سواء أكان مسلما أم مسيحيا ، لان الثقافة كانت عنوان ذلك النــدى الكريم ، والمؤلف يورد رأي النقاد في اسلوب الاستاذ الامام ، ويحاول مناقشتها في اسلوب هادىء مستند الى الدليل ، ومع ذلك فقد ظهــر حبه للامام واضحا في هذه المناقشة ، فحاول ان يبرىء اسلوب الامام من كل شائبة ، وقد ظهر ذلك واضحا في ملاحظاته على رسالته التــي كتبها في سجن القاهرة ، متهما بالاشتراك في الثورة العرابية ، فيعلل ما فيها من تهويل ومبالغة ، بانه كتبها وهو ثائر ، فهول مــن شان

الفتن التي تجسم ظلامها وتحجر ، والذي بغى وطغى ، حتى كأن صخوره متنزعة من مركز الارض الى المحيط الاعلى ، معرضة ما بين المشرق والمغرب ، ممتدة الى القطبين ، فهي شاملة الدنيا كلها بالطول والعرض ، مسيطرة على قلوب الثقلين من الجنة والناس .

وهكذا يمضي الشيخ في رسالته التي نقل بعضها الدكتور الشرباصي ، وسمى اسلوبها اسلوب « سطوة » ، وهي تسمية طريفة جديدة ، ولسنا مع المؤلف في ان الاسلوب في الرسالة يغلب فيه الاسلوب المرسل على أسلوب السجع ، مع التزام الشيخ بختم كل فقرة منها بجملة تنتهي بالياء والنون او الواو والنون .

ويعترف المؤلف بان الشيخ بذل مجهودا ذهنيا في رسالته حتى يحقق فيها ما التزم .

ولا انكر ان المؤلف حاول في كثير من مواقفه ان يكون محايدا في موقفه من الامام ، ولكن حبه لشخصية استاذه الامام الشيخ محمد عبده حسن في عينيه كل شيء ، حتى مآخذه التي اخذها عليه برفق ، ثم يختم المؤلف كتابه بعديد من الملاحظات اللغوية التي استرعت نظره وهو يقرأ للاستاذ الامام .

فقد استعمل « البئر » مذكرة وهي مؤنثة ، قال تعالى : « وبئر معطلة » ، وقال في رسالة له : « فاهدهم مني أزكى السلام » ، والصواب : فاهد اليهم ، ويقول في رسالة الى حفني ناصف : « وسيرسل اليك سند الاستلام » . والصحيح : سند التسليم . ويقول الامام « دعيت لتدريس » والصواب ان يقول : ودعيت الى تدريس .

وهكذا يستمر المؤلف يسرد ملاحظاته على الاستاذ الامام اللغوية ، ثم يقول : « انها اخطاء مشتركة بين الامام وشكيب ارسلان ورشيد رضا ، وجل المعصوم من الخطأ والنسيان » .

وعلى كل هذه الملاحظات ، ملاحظات يطول بي القول لو ذكرتها ، ولهذا اختم هذه الكلمة بشكر المؤلف على ما قدم ويقدم للمكتبة العربية من بحوث ودراسات ، وارجو ان اوفق الى كلمة أخرى في هذا المصدر الادبي القيم ، والله الموفق .

جامعة الازهر
عبد الحسيب طه
استاذ بكلية اللغة العربية

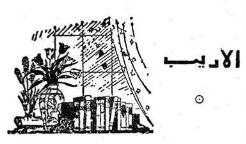
●

ضفاف الهوى

مجموعة شعرية ـ رضا الفيلي ـ تقديم محمد عفيفي ـ ١٦٨ صفحة ـ مع لوحات فنية ـ مطبعة حكومة الكويت

« ضفاف الهوى » هذا ديوان عذب جميل عطر الانفاس فواح العبير جادت به قريحة شاب كويتي مثقف يدرس في الولايات المتحدة الامريكية، ويجري فيه جدولان عذبان من جداول الثقافة الرفيعة ، الجدول الاول هو جدول الثقافة العربية التي تمكن فيها الشاعر كل التمكن بعد ان امعن في قراءة دواوين الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، ولم يمر على قراءتها مرور السحاب او عابر السبيل انما تمحصها وتعمقها وهضمها واستوعبها . ووقف على دواوين ايليا ابو ماضي وعلي محمود طه ، وخليل مطران ، ونزار قباني ، والياس ابو شبكة وغيرهم من اعلام الشعر في العصر الحديث ممن عرفوا باتجاهاتهم العاطفية الفياضة وانطلاقاتهم الشعرية الاخاذة . اما الجدول الثاني الذي يتمثل في هذا الديوان فهو جدول الثقافة الغربية الذي يتراءى في دواوين شعراء امريكا امثال فروست ووبتمان

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

وسيدني لانيز وغيرهم كما يتراءى في دواوين لورد بيرون ، وشلي وسير والترسكوت وغيرهم من اعلام الادب الرومانطيقي الخلاب .

اما الشاعر فهو الاستاذ رضا الفيلي الذي يطلب العلم هنا في الولايات المتحدة ويدرس في نفس الجامعة التي اقوم بالتدريس فيها ، وقد لمست فيه عاطفة جياشة واحساسا ملهما ونبعا فياضا من الشعور لا يكل ولا يغيض بل يتدفق في سلاسة وحلاوة ويجري في عذوبة وصفاء. والواقع اني لم اقرأ لشاعر عربي يمجد العيون وسحرها ودلالها كما يمجدها رضا الفيلي . فالعيون سحر والهام عند قلبه والعيون وحي واجلال في نظره ، والعيون بعد ذلك كله بل قبل ذلك كله بل وفوق ذلك كله نغم عذب ساحر يتدفق في ديوان ، ويشيع في كلماتـه فيثير الكوامن ويحرك المشاعر ويخطف الابصار . اسمعه يقول :

عيناك كل وارف وغناء عصفور طليق
بجناحه الذهبي يمزج آهتي بدم الشروق
ويداك لمسة ياسمين الفجر للغصن الوريق
واذا همستانساب همسك من فم الغيم الرقيق
انت الهوى المفقود في دنياي والحب العريق
وربيع وجهك لا يزال يقبل الثغر الانيق
يحكي له اسطورة الاشواق في قلبي المشوق

فهنا تجد المعاني الرائعة تتدفق كالموج المتدفق على الشاطيء ، والموجة تهمس في اذن الاخرى احاديث الهوى واغاريد الغرام . وهنا تجد الموسيقى العذبة الحنون التي لا تصل الى الاذن حتى تصل الى اغوار القلب واعماق النفس وحنايا الصدور . وهو في هـذه المعاني اشبه باللورد بيرون الذي كان يبث في سمع صاحبه احاديث الهوى ، ونفثات الغزل على الشاطيء الحبيب او هو اشبه بابي القاسم الشابي وهو يستلهم حبه وشبابه ويزكي ترانيمه في اذن الصباح الوليد . وفي قصيدة اخرى يقول رضا الفيلي :

عيناك يا اغرودتي
كآبـة زرقـاء
عميقة كقطعة هوت من السماء
صافية كخمر انفاسنا
يغرقنا في لجـة العيون
في آهة العذاب
في غـده السراب
في عالم يطفئنا بناره
في زرقة تبحث عنها السماء
ويزهـو الخيـال
حين يضم سحرك المكنون
بزرقـة العيون .

فانت تحس ابيات رضا تنسلل في روعة وجلال دون حـدود ودون قيود وتحس خياله ينطلق في سموات الخيال كالطائـر يبهره الفضاء وتخلب عيونه رؤى السماء ومعاني الجمال . وهو في تحركه وانطلاقه اشبه بالشاعر الامريكي والت ويتمان (١٨١٩ - ١٨٩٢) الذي اغرم بهذا اللون بعد الشعر الحر الطليق . ونظم فيـه مجموعة قيمة من القصائد والالحان .

ولكن رضا الفيلي يعجب ايما اعجاب بلون معين من العيون . كما كان الشاعر الرقيق شاعر الجندول علي محمود طه حين يعجب بلـون معين من الجمال فكما كان علي محمود طه يترنم بقوله « شرقي السمات حلو اللفتات » فكذلك غاص الجمال العربي في قلب رضا الفيلي فنظم قصيدة من عيون شعره بعنوان « عينان عربيتان » :

عربية العينين يا ليل النهار الساهر
لا ترسلي سهميك من جفنيهما
اني اضمهما بجفن مشاعري
وانا اغني بين اكداس الصدى
ووفود الحاني حطام مزاهري

وفي فقرة اخرى من هذه القصيدة العذبة كانسام الربيع الحلـوة كريق الندى في الصباح البديع يقول :

عربية العينين يا اغرودة الصحراء
يا سمرة النوار في اخفاءة النجم البعيد
ماذا اقول وقد نسيت اللحن في اشعة القمر .

ليصدقني القارىء الكريم باني استمتعت حقا باحاديث العيون في ديوان الفيلي ضفاف الهوى حتى لقـد صدق الشاعر الحديث حين قال « جفنه علم الغزل » .

وقد علمت العيون رضا الفيلي من الغزل فابدع وتفنن فن النسيب فافاض واجاد . فليمهن رضا الفيلي في قراءته وامعانه ، وليمهن رضا الفيلي في تفننه وابداعه فهو طليعة الشباب الكويتي المثقف وبرغـم غض من براعم هذا الوطن العربي الكبير ولكن رضا الفيلي على رغـم حبه للعيون العربية يستمد الهامه ايضا من العيون الزرقاء التي تبدو من زرقة السماء الصافية او من زرقة اديم البحر في الليلـة القمراء الرائعة كما يبدو ذلك في قصيدته « عينان زرقاوان » .

غير ان رضا الفيلي لا يطرب فقط من احاديث الطبيعة ومجالي الفتنة ومنابت الجمال انما يطرب كذلك من احاديث الشهامة والبطولة وصور الكفاح والجهاد والجلاد ، ففي قصيدة « موكب الثوار » تلمس الريح عاصفة ، والنار موقدة شديدة الاوار ، وهي نار تحرق الاعداء. وتهدي المكافحين الى سواء السبل فهـي نـور يلهم ونـار تحرق . اسمعه يقول :

موكب الثـوار جـاء
مثلما الليل ولا بد له من اخر
موكب الثـوار جـاء
بـذرة الثوار جـاءت
من خلال الموت من درب القنوط
شقت القشرة وامتدت من الارض الوفية
موكب الثـوار جـاء
وجنين الصبح في الليل تململ .

وفي قصيدة « اغنية الى القدس » يثور رضا الفيلي لما حدث في القدس الحبيبة حيث لوث المعتدون معالم المدينـة العريقة ولطخوا هالتها المقدسة وشوهوا جمالها فقص جند الظـلام المارقون شعرهـا الجميل بخمرة الجنون . وقلعوا الاظافر النقية الحنـان ، وخدشوا البسمة في ثغر المسيح بل لقد علقها الجناة صورا وسددوا لصدرهـا المنور الطهور وخدها المعطر الاثيل اظافر القرد العجوز .

وهكذا يمضي بنا رضا الفيلي في ديوانه من روضة الى روضة ، ومن الهام الى الهام ومن احاديث الحب والغرام الـى ترانيم المجد والجهاد ، ومن لغة العيون الى سحر الجفون ، ومـن هيمان الفراش الى رنات القبل كصليل الحلى في ايدي الغواني الحسان . فهنيئـا للاستاذ الفيلي بديوانه وهنيئا للقارىء العربي بهـذا النصر الادبي وهذا الكنز الفني النفيس .

جامعة جنوب كاليفورنيا جمال الدين الرمادي

●

شعر ابي سعد المخزومي

تحقيق الدكتور رزوق فرج رزوق - ٨٠ صفحـة كبيرة - ساعـدت جامعة بغداد على طبعه ١٩٧١

ابو سعد المخزومي واحد من اولئك الشعـراء المنسيين الذيـن قلت

اخبارهم وتناثرت اشعارهم ، لانشغال الناس والمؤلفين عنهم بمن هم اكثر اتصالا بالخلفاء او الامراء او الرؤساء .

وقد بلغت قلة حظ ابي سعد من الشهرة ان احد المحققين المعاصرين قال حين ورد ذكر ابي سعد المخزومي في كتاب حققه : « لا اعرف عنه شيئا » .

ولقد عني الدكتور رزوق فرج رزوق – الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بكلية الاداب ببغداد – بهذا الشاعر العباسي المجيد المغمور ، فعرف به ، وجمع شعره ، وحقق هذا الشعر فاضاف الى مجموعات الشعر العباسي ودواوينه هذه المجموعة الشعرية الجديدة: « شعر ابي سعد المخزومي » .

عرف شاعرنا بكنيته . وقد اختلف المؤلفون القدامى والمحققون المحدثون فيها فذكر بعضهم « ابا سعد » ، وذكر البعض الاخر « ابا سعيد » . والصحيح ما ذكره الاولون فقد وردت الكنية « ابو سعد » في ابيات شعراء عاصروا شاعرنا وهجاهم وهجوه ، مثل دعبل وابن ابي الشيص وابي البرق .

اما اسمه فعيسى بن خالد بن الوليد ، من ولد الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي . ونراه فخورا بنسبه اذ يرد على كل من كان ينفي هذا النسب :

اني امرؤ من قريش في ارومتها ... لا يستطيع لي الاعداء تكذيبا

ولقد بخل الرواة ومؤرخو الادب بذكر مكان ولادة شاعرنا وسنتها وبالكلام عن نشاته ومصادر ثقافته .

ويتبين من شعره انه كان بين المقربين من شعراء المامون ، وان له مع دعبل الخزاعي هجاء كثيرا . وقد اختلف الرواة في سبب هذا التهاجي وكان مما ذكروه ان دعبلا كان شديد التعصب للقحطانية على النزارية وقال قصيدة يرد بها على الكميت ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن ، فناقضه ابو سعد وهجاه ، وطال تهاجيهما .

وقد طرق ابو سعد بشعره ابواب الشعر المعروفة في زمانه ، من مدح وهجاء وفخر وحكمة وغزل وهزل .

ولقد ساءه ان يضطر الى استخدام شعره في المدح ، فقال في الشاعر المداح الذليل :

الكلب والشاعر في حالة ... يا ليت اني لم اكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه ... يستطعم الوارد والصادرا

وطمح الى المعالي ، فقال يفخر بحسبه ، ويذم دعبلا :

املي في التاج البسه ... وله في الشعر آمال
ليس من يسمو به حسب ... مثل من يسمو به مال

وقال في الدهر وعجائبه :

ما اعجب الدهر في تصرفه ... والدهر لا تنقضي عجائبه
فكم رأينا في الدهر من اسد ... بالت على رأسه ثعالبه

وتغزل ، ولان لمن يحب ، فقال :

اي محب لك لم احكه ... واي ليل لك لم ابكه
ان كان لا يرضيك الا دمي ... فقد اذنا لك في سفكه

واعلن ، بظرف ، عن رأيه في الصديق المثالي فقال :

نعم الصديق صديق لا يكلفني ... ذبح الدجاج ولا شي الفراريج
يرضى بقدرين منكشك ومن عدس ... وان تشهى فزيتون بطسوج

هذا وقد وجمع المحقق من شعر الشاعر المتناثر في الكتب مائة وتسعة وثلاثين بيتا هي مما نسب الى ابي سعد وحده ومما نسب اليه والى غيره . واذا نحن اقتصرنا على ما نسب اليه وحده وجدناه (١٢١) بيتا في (٣٧) مقطوعة ، جلها من بحر الوافر (٨ مقطوعات) ثم البسيط (٦ مقطوعات) ثم الطويل (٤ مقطوعات) والمتقارب (٤ مقطوعات) .

اما منهج المحقق فهو انه بعد ان عرف بالشاعر وشعره رتب النصوص الشعرية حسب التسلسل الهجائي لقوافي الابيات ، وقد اورد مع النصوص احيانا ما يتصل بها من اخبار قصيرة ومقدمات تشير الى مناسباتها او توضح معانيها العامة ، وضبط الابيات بالشكل، واعتمد عند تعدد مراجع التخريج على رواية اقدم هذه المراجع ، فان زاد عليه مرجع آخر في عدد ما رواه من ابيات النص كان لرواية هذا المرجع الرجحان وعليه الاعتماد .

وختم التحقيق بشروح وتعريفات بالاعلام وتعليقات وفهارس ثلاثة: للاعلام ، ولصدور الابيات وقوافيها ، ولمراجع البحث والتحقيق التي بلغ عددها ٦٥ مرجعا .

وصدر الكتاب بمساعدة جامعة بغداد . ولا بد لنا من ان نشكر للمحقق الفاضل جهوده في تحقيق هذا الشعر ، ومساهمته في حركة احياء التراث العربي المتميزة في ايامنا هذه بالحيوية والنشاط .

بغداد — **صباح نوري مرزوك**

•

لهيب الروح

مجموعة شعرية – فطينة النائب – (؟) صفحة – مطبعة المعارف ببغداد

من الدواوين التي ضمتها خزانتي المتواضعة ديوان « لهيب الروح » للشاعرة فطينة النائب ، ضريبة « اميلي برونتي » شاعرة التباريح والاحزان . وتاريخ اقتنائي الديوان يعود الى شهر أيار من عام ١٩٥٥، اي عام صدوره . ومنذئذ وانا احاول الكتابة عنه ، لكن في كل مرة كنت اهم بذلك ، كانت تصدني عوائق وحوائل لا حصر لها في خضم الحياة . وكلما عزمت على تدوين خواطري عنه ، شعرت كان يدا خفية تطويه ، وطيفا غامضا يهمس : دع عنك هذا ، فاوانه لم يحن بعد ! وكنت اعيده الى اترابه على مضض ! فالديوان قمين بدراسة متانية ، وخليق بالتثمين وتبيان اصالة صاحبته الشعرية وعمق شعورها ، وتعدد جوانبها الفنية .

ابرز جانب من جوانب الديوان نزعتان قويتان متناقضتان في آن معا : الامل واليأس – الامل الجياش المخضوضر العارم الى حد الثورة احيانا ، واليأس المرير الى حد القنوط والخمود احيانا . ها هي تتكلم عن روحها قائلة :

اما عاهدتني ان ترتضي بالغل والحبس
فكم خاطبتني في الليل كم اصغيت للهمس
لهيب اينما ولت وشجو للحشا موري
هيا روحي اما يكفيك لا تستعبدي ثوري
ذري الآلام يا اختاه في محرابك الهادي
وواريها ببسمات تهدهد قلبك الصادي
ولا ترضي اذا ثارت وهاتي بشرك البادي
فعقبى الليل اشراق سياتي بعد ميعاد

وها هي تخاطب قيثارها الصامت ، مفصحة عن اليأس والالم الملمين بها :

الام الصمت يا قيثار والايام تشقينا
وسحب اليأس والآلام نغدو فوق وادينا
سنصلي في جحيم الصمت تجفونا امانينا
ونحيا والهوى طيف بعيد عن ايادينا

وفي سورة من التباريح والاوصاب في قصيدتها « الورود الدامية » نغمة اعتزاز وترفع :

انا من ملكت زمام نفسي رفعة

تليها هذه النغمة الحزينة اليائسة الخافتة التي تختم بها سنفونيتها :

ماذا لدي سوى غيوم كلكلت
سوداء تذكرني بأفق صاح

ويندر ان تخلو قصيدة من الياس والامل في ثناياها ، مع تفاوت في سورة كل منهما بين قصيدة واخرى . ففي « وعود ضائعة » ترى ان « رائحة اليأس أحلى من عذاب الامل الذي لا يتحقق » وتقول :

لكم دنا ظامىء للنبع منتظر
لعله بعد نار الصبر يبترد
فما استقى رشفة تحيي به أملا
وظل يقنع بالاقوال ما وعدوا

ومن قصيدة « حنين » هذان البيتان :

على الشاطىء وقد اودعت هذا الموج اسراري
كتبت اليأس والآمال فوق الثائر الجاري
ضياعا راحت الآمال أشتاتا بتيار
ومرت نسمة حيرى لتمحو موج افكاري

وها هي تعنون احدى قصائدها بالامل البعيد الذي تقول عنه : « انتظار الامل الم ، واقصى الالم لذة ، وما الحياة إلا أمل مؤلم أو ألم لذيذ » ، فتخاطبه :

يا أيها الامل البعيد ألا دنوت قليلا
لترى ورودك ذابلات في الضلوع ذبولا
وترى ظلاما في الجوانح دامسا مسدولا
أمست ربوع الامس بعدك دفنة وطلولا

وفي (النور المظلم) عزوف عن الامل واستسلام الى الياس :

دع الاماني ظماء لا تسقها بعد يبس
فكم غرست ورودا والدهر اذبل غرسي
فلا تنزلي الدياجي قد خاب بالنور حدسي
دعني لكيد الليالي لقد تعلمت درسي

وخاطبت (فراشة حول النار) تقول :

لقد أردت شقاء العيش فاحتملي
واحصي الدقائق في حب بلا امل

وخاطبت « بركان » ذاتها مفصحة عن الياس المستفحل ، قائلة :

يمور فيك الياس مستفحلا
كأنه في الحكم سلطان

ويعاودها الشعور بالامل فتتمنى :

يا نفس هل من ومضة للمنى تفريك فالآمال ريحان
فالدهر والحب وآمالنا زهر وينبوع وظمآن

ان الشاعرة الرهيفة تشكو انعدام الاصدقاء والاوفياء والخلان كما تشكو الحرمان ، فحق لها ان تتوجع وتتلظى :

يا نفس قد كان لنا صحبة كأنهم بالامس ما كانوا
ضاقت بك الدنيا على وسعها وليس للضليل اوطان
وقد خلت من مخلص واحد كأنما لم يبق سكان

وتعتريها يقظة من يقظات القوة رغم ما تعانيه من وهن ، فتصرخ:

لا أعرف الضعف وما نابني فالضعف موت وهو ألوان
فلن يرى العذال الامنا حتى تضم الجسم أكفان

ويتجسم نزوع الشاعرة الى الامل المورق المتالق تارة ، والى اليأس الشاحب المدلهم تارة أخرى ، افضل تجسيم في « دوحة الامل » وهي عندي من عيون قصائد الديوان ، ومن افضل ما طالعت من شعر الفرنجة والعرب في (الامل) فهي عندي افضل من قصيدة ثوماس هود الانكليزي « الى الامل » التي مطلعها :

تناول قيثارك ، يا ملاك السيرافيم الصغير
واعزف لي ابهج الانغام
فالحزن قاتم والهم صارم
والحياة تفنى بغاية السآمة
ايه ! تناول قيثارك !
غن كعادتك اذ كان الشباب كله فصلا مشرقا مديدا
وقد جلست أسمع انشادك المبتكر أبدا
ونعيم المستقبل عنوانك الدائم
حينئذ يولي بعيدا كل هم طفيف كاشباح الرؤيا
كأن كل صوت رفرف هناك قد حام فوق جدول السلوان !

كما أنها عندي افضل من قصيدة عبد الرحمن شكري (مناجاة الامل) ذات البحة بسبب قافيتها الحائية ، التي بعض ابياتها :

أيا بلسم الاحزان لولاك لم يعش على عنت الدنيا لهيف ونائح
معين على البلوى،معين على الضنى اذا لم يكن فيه معين وناصح
أيا طائرا يشدو وفي النفس أيكه فيخفت فيها يأسها المتناوح
ويا آسي الاحزان والظلم والضنى ولولاك أعيا الطب مود وطائح
تضاحك في يأس ونحس وكربة كأن الرزايا عاتبات موازح
وتخلق منك النفس دنيا سنية وفي افق منها النجوم اللوائح
تعللنا بالسعد من بعد ميتة فتحسن في مرآك الضرائح

ومن العسير تفضيل احد مقاطع القصيدة « دوحة الامل » الخمسة على بعضها ، فكلها رائعة الصور ، ظريفة المعاني ، لطيفة الوقع ، رصينة الايقاع . قالت في الدوحة :

طوبى لمن دوما يعيش بجوها يتعطر
متشبثا بغصونها والى ذراها ينظر

ثم تخاطبها :

يهواك قلبي ما حييت موافيا لا يهجر
ويعيش يدنيه الطموح اليك لا يتغير
سهران مشبوب الجوانح هائما يتصور
متيقظا يرعاك وهو بشوقه متحير
لا تبعدي عن يائس وعلى الاسي لا تبخلي
واذا انتويت بنا النوى ، فترفقي وتمهلي

وتصف « دنياها » بنبرة حزينة ، ترتفع طورا ، وتنخفض طورا :

دنياي نبع دافق الماء ما بين ازهار وافياء
قد اولع باغرائي في نار اقصاء وادناء
هل تهنأ الروح بايذاء وتقنع العين بايماء
دنياي صمت مطبق رائع تطوف في ارجائها نفسي
فيها ظلام طال مسراه وبعده الاشراق والفجر
ارتقب الصبح وأرعاه ورب صبح دونه القبر

ويعاودها الياس ثانية في « حطام » :

سفيني قبلة حيرى ووجه البحر مرآة أرى فيها لطيف الياس قد لاحت علامات
سفيني، أين ما نرجوه مما بت أخشاه واين الامل البسام يسرى في ثناياه

وهكذا نطالع الامل والياس بين هنيهة واخرى بين دفتي الديوان، اذ يلوح ان الحياة لم تحقق جل امانيها اليانعة ، فلازمتها الهموم والاشجان :

كلما خلت للهموم انفراجا يتوالى هطولها كالسحاب

فبوركت دوحتك النضرة يا فطينة ـ الدوحة المنتصبة على شاطىء ، مده الامل البسام ، وجزره اليأس الكالح . وبوركت قيثارتك التي تطلق انغام التفاؤل والخيبة وبين الامل واليأس، والتفاؤل والخيبة تمضي سحابة العمر يا شاعرتي الرهيفة الفطينة ، فلولا الامل والياس لما كان ديوانك ذو الكلم النظيم ، بل لتعذرت الحياة على هذه الغبراء .

بغداد — يعقوب فرام منصور